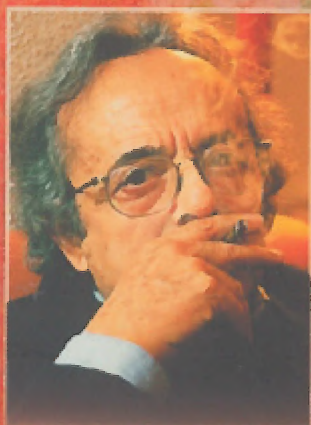


مجاناً مع دبي الثقافية



الونيس

بدء لغبار الطلع



سبتمبر 2010



المدير العام ورئيس التحرير
سيف محمد المري

مدير التحرير
نواف يونس

متابعة

يحيى البطاط

محمد غبريس

المدير الفني
أيمن رمسيس

الإخراج والتنفيذ

محمد سمير

مدير العلاقات العامة

محمد بن مسعود

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار

الصدى

للصحافة والنشر والتوزيع

عناوين المجلة

• التحرير والإدارة دبي:

الإمارات العربية المتحدة دبي

منطقة الصفا شارع الطيخ زايد

هاتف: +٩٧١٤/٣٤٢٢٢٢٤

فاكس: +٩٧١٤/٣٤٢٢٢٢٩

لبناني هاتف: +٩٧١٢/٦٢٨٨٩٢

فاكس: +٩٧١٢/٦٢٨٨٨٣

• الإعلانات والتسويق:

دبي شارع الشيخ زايد

برج المدينة (٢) شقة ٤٠٢ ض.ب: ٢٩٠٦٦

هاتف: +٩٧١٤/٣٣١٤٣١٤

فاكس: +٩٧١٤/٣٣٢٢٢٢٩٢

• التوزيع والاشتراكات:

هاتف: +٩٧١٤/٣٤٩٠١٠٠

فاكس: +٩٧١٤/٣٤٩٠٦٠٠

٤٤٨٣

كتاب

دبي الثقافية

يصدر عن مجلة دبي الثقافية

ويوزع مجاناً مع المجلة

الإصدار 40



أدونيس
فضاء لفبار الطلع

الطبعة الأولى: حزيران ٢٠١٠
الطبعة الثانية: تموز ٢٠١٠

منها الأبيوان

بقلم: سيف المري

استهل شاعرنا الكبير الأستاذ أدونيس إصداره الزائع هذا بالاستشراف من شرفة تطل على بحر العرب، موجهاً أسئلته لامرئ القيس بن حجر، ومستنداً إلى طرفة بن العبد، حيث يرى أن شعر طرفة لا يزال يطرح سؤاله على أبجدية بحر العرب، ويجبح ثانياً مع امرئ القيس وهو يخصف نعله بالماء والرمل محولاً الجدران إلى أجنحة لكي يحيا، ومبتكراً المكان ومحمولاً على ناقة الشعر.

ولا شك أن أدونيس كان يستشعر غربة امرئ القيس وهو يعيش بين غريتين؛ أدناهما المكان وأصعبهما الزمان، وتبلغ الغربة أقصاها حين يخاطبنا وهو في أقصى الأرض بقصيدة «شانغهاي» في حفل يبدأ ولا ينتهي، ويسهر هو على قبر المعنى، فهل تراه وجد أن الكلمات لم تعد أجساداً قادرة على احتمال روح الشعر وتتكرد الأبجدية؟

ثم يوقف الحزن الشاعر حين يعجز عن أخذ قارورة
الحبر الصيني معه عندما تمنعه قوة القانون، وإن
كان الشعراء هم سادة التمرد على القوانين فإنه ولأمر
خارج عن الإرادة امتثل ولا رسالة، وكما يقول في
نهاية القصيدة «سافر الورق في الحبر الأسئلة، سافر
الحبر في الصوت»، وما زال السفر وما زال الشعر رحلة
بغير نهاية وإلى غير غاية إلا الشعر بذاته ولذاته.

فلنقلب معاً صفحات هذا الإصدار الموسوم بكل
حروفه وحركاته ببصمة صوت رائد الشعر العربي
المحاصر الأستاذ أدونيس، ولنبحر معاً في رحلة
الغموض والتيه، ولنبحث عن الأسئلة التي تغلف
ظلام المعنى، فربما نقرب من سماء أدونيس التي
قال عنها في الصفحة الأولى من القصيدة الأولى من
هذا الديوان متسائلاً: «من قال الشاعر لا يدخل السماء
إلا محروساً بالجحيم؟».

ونحن نطرح ذات السؤال.. فهل من إجابة؟

الوعي الحاضر بالكتابة

بقلم: نواف يونس

اعتدنا في المحفل الأدبي، أن يقدم الأستاذ تلميذه، إلا أنني وجدت التزاماً عليّ، وأنا التلميذ أن أقدم أستاذي، الذي ترجم شعره وكتبه إلى جل لغات العالم، بعد أن رشح لجائزة نوبل عدة مرات، إلى جانب أنه ومنذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهو لا يزال يمارس مزيداً من الحضور المتميز في المشهد الثقافي العربي، سواء على مستوى الإبداع الشعري أو الفكري.

إن أجمل ما في أدونيس ذلك الحس النقدي، الذي طال مفهوم وأبعاد وجوهر الحداثة الشعرية العربية، والتي من وجهة نظره، لا يجوز لها أن تختزل الحركات العلمية والفنية والاجتماعية والدينية، على مر العصور، بالخروج عن أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي وحسب، مصراً على أن يمارس الوعي الحاضر بالكتابة، وبالتالي التأسيس لعالم أفضل من خلال إنسان أكثر انخراطاً في الحرية وإرادته.

إنه أدونيس الباحث الدائم عن نفسه، بالكثير من الصدقية والشفافية، من خلال توصيف وتوليد واستنباط رؤى مستقبلية، تكون قادرة على إعادة ترتيب الأوليات، وتوفير قوة دفع، تمكن الحركة الشعرية العربية من قيامها بدورها التنويري إنسانياً، قبل أن تستكمل دورها الثقافي وتأثيره في الحراك الاجتماعي العربي، عبر محاولة ترميم الذاكرة، والإنصات إلى نبض مرحلة البحث عن مضمون التراث، كون الواقع يتطلب عصرية النظام المعرفي والجمالي، من أجل التحول إلى الوعي الفاعل، وليس الوعي الزائف، الذي يكرس السائد ويعمل على استمراريته.



أدونيس

فضاء لغبار الطلع



الإصدار «٤٠» سبتمبر ٢٠١٠

أَسْئَلُهُ لِأَمْرِ الْقَيْسِ
مِنْ شُرْفَةٍ تُطَلُّ عَلَى بَحْرِ الْعَرَبِ



I. العابر المقيم

-١-

من قال: «الشاعر لا يدخل السماء
إلا مجروساً بالجحيم؟»،
سؤال لا يزال شعرُ طرفه بن العبد،
يطرحه على أبجدية بحر العرب.

-٢-

الجهات هنا هي الجهات كلها.
طيور مهاجرة. أبراج بوارج. كيف لماذا أتى أين؟
إذا، هل تعانق الرمل أيها الماء، هل تعانق الماء أيها الرمل؟
هل العابر هو وحده المقيم؟ هل الأبدى هو، وحده، الفقير إلى
الزائل؟
الصُبراء التي نامت فجأة في سرير العشب،
تنهض وترقص.

-٣-

«أمناك حكمة واحدة لا تقدر المعرفة أن تبطلها؟»
سألتني موجة في طريقها إلى أن تلتطم بشمس الشاطئ.

-٤-

عجيباً لهذا المكتشف الكريم الذي يُسمى الإنسان،
كيف لم يكتشف حتى الآن بخل السماء؟



-٥-

أَضَعُ رَأْسَكَ فِي رَأْسِي أَيُّهَا الْوَقْتُ وَأَفَكُرُ أَنْتَ الْجَذْرُ لِكِنَّكَ الْوَرَقَةُ
الذَّابِلَةُ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى السَّقُوطِ أَنْتَ الْأَكْثَرُ غُلُوءاً غَيْرَ أَنَّكَ تَقِيمُ
فِي غُورِ الْأَغْوَارِ أَنْتَ الصَّحْوُ وَلَيْسَ فِي خَطَوَاتِكَ وَأَهْدَابِكَ إِلَّا وَحَلٌّ
يَتَخَدَّرُ مِنْ عُفُونَاتِ كَفَلَتْهَا سَمَاءُ السَّمَاوَاتِ أَضَعُ رَأْسِي فِي رَأْسِكَ
وَأَسْأَلُ: أَيُّنَا الْآخَرُ؟
وَهَا هِيَ الْكَوَائِبُ تَسْهَرُ كَأَنَّهَا تَتَرَقَّبُ الْهَوْلَ الَّذِي سِيضِرُّ كُلَّ
مِنْهَا بِيَدَيَّ كُلِّ مَنْ.

-٦-

لَا تَزَالُ السَّمَاءُ فَتِيَّةً فَوْقَ بَحْرِ الْعَرَبِ،
وَالْأَرْجَحُ أَنَّهَا لَا تَهْزَمُ.
لَكِنْ، هَلْ هَذَا الْقَوْلُ مَذْحٌ أَمْ هِجَاءٌ؟

-٧-

هُنَا، أَمْسِ،
بَدَتْ لِي أَشْعَةُ الشَّمْسِ كَأَنَّهَا شِفَاءٌ
يَلْذُّ لَهَا أَنْ تَظْلُ فِي حَوَارٍ مَعَ الزُّيُودِ.
لِمَاذَا، إِذَا،
عِنْدَمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَدْجِنَ شُعَاعاً،
تَمَرَّدَ عَلَيَّ الْأَفَقُ؟

-٨-

الْهُوِّيَّةُ؟
قَهْوَةٌ تُسَمَّى الصَّبَاحُ،
فِي مَكَانٍ يُسَمَّى الْهَجْرَةَ
حَيْثُ يَسْتَقْبِلُكَ شَيْطَانُ
لَا يَحْمِلُ فِي وَجْهِهِ، غَالِباً، إِلَّا الْخَيْرَ.

-٩-

التَّقْنِيَّة - هذه المقبرة البلورية
كنتُ أَعْدُو فيها وأروحُ
مُطَوَّقاً بِوَرْدٍ أَحْمَرَ
يَقْتَفِي رَائِحَةَ أَيَّامِي.

-١٠-

كَيْفَ يَشْفِي الْمَكَانُ وَالزَّمَنُ هُوَ نَفْسُهُ دَاوُدَ؟
سَوَّالٌ أَقْسَمَ بِعَضْمِ أَمَامِي
أَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يُسَمِّيَ السَّمَاءَ بِاسْمِ آخِر.
أَمَّا أَنَا، فَأَكْثَرُ مَيْلًا إِلَى الْحَيَاةِ
فِي جَوْفِ سَوَّالٍ آخِرٍ، يَبْدُو كَأَنَّهُ
لَيْسَ إِلَّا حُوتًا كُؤُنِيًّا.

II . سَنَدْبَادُ الْكَتْرُونِي

-١-

تَحْتَ نَجْمَةٍ،
فِي زَاوِيَةٍ تَكَادُ أَنْ تُفْلِتَ مِنْ شَبَكَةِ السَّمَاءِ،
تَنْسُجُ إِبْرَ الْكَتْرُونِيَّةِ شَرَاعًا لِسَفِينَةٍ لَيْسَ عَرِشُهَا
عَلَى الْمَاءِ،
وَأَنْ كَانَتْ مِنْ سَلَالَةِ الْبَحْرِ.

-٢-

عِنْدَمَا يَرْكَبُ سَفِينَةً،
يَكُونُ قَدْ عَلَّقَ الْقَمَرَ بِقَرْنِي غَزَالٍ،
وَتَفَقَّ أَثْدَاءُ الصَّحْرَاءِ، تِلْكَ الَّتِي تَرْضَعُهَا النُّجُومُ.

-٣-

التَّوْبُ الْأَوَّلُ الَّذِي خَاطَهُ السَّفَرُ لَهُ،
سَمَاءُ الْمَوْجِ.



-٤-

يُبحر - كأنَّ جسمه دلفين عاشق،
وكان البحر فرج كوني.

-٥-

يعرفُ مُسبقاً، أيتها النوارس:
يوماً، ستجيين إليه،
وتنتخبين حبه أميراً على أجنحتك.

-٦-

بين أفضل هواياته:
أن يتقرى، كل يوم، قبيل نومه،
تجاعيد أخلامه.

-٧-

«ألك أجنحة، وكيف نبتت؟»:
سؤال يطرحه الموج دائماً عليه.

-٨-

عجيب أمر البحارة الذين يُصادفهم:
كل منهم يريد أن يملك البحر.
هكذا يزداد رغبة في أن يكون كالضوء -
لا ملك له.

-٩-

علمه السفرُ
أن الموت، خلافاً لما يُظن،
هو الواضح،
وأن الحياة هي الغامضة.

- ١٠ -

كُتِبَ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ:
«ثَمَّةٌ مَوْجٌ يَقِيمُ فِي الرَّأْسِ، وَأَخْرُ بَيْنَ الْكَاحِلِ
وَالسَّرَّةِ.

هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُخْضِعَ الْمَوْجَ،
وَأَنْ نَسْتَنْبِغَهُ؟
لَا تَزَالُ أَمَامِي مُشْكَلَةٌ تَوْرُقُنِي:
كَيْفَ أَحْسِنُ الْإِنْتِقَالَ مِنْ قِيَادَةِ اللَّجَجِ
إِلَى قِيَادَةِ الشَّوَاطِئِ؟».

- ١١ -

يُحِبُّ أَخْطَاءَهُ فِي الْقَوْلِ، أحياناً: نَعَمْ
فَفِيهَا يَقْرَأُ لَأَءَاتِهِ الْكَرِيمَةَ الصَّامِتَةَ.

- ١٢ -

«هُوَ الْعَابِرُ الزَّائِلُ»، كَمَا تَقُولِينَ، أَيَّتُهَا السَّمَاءُ،
فَلِمَ إِذَا، إِذَا، تَهْتَمِينَ بِهِ؟

- ١٣ -

عَلَى خَاصِرَةِ ذَرَّةٍ تَتَنَزَّهُ فِي حَدِيقَةِ الْمَادَةِ،
أَلْقَى رَأْسَهُ.
وَأَخَذَ يَقْرَأُ أَلْفَ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ.

- ١٤ -

اللَّحْظَةُ الْعَابِرَةُ هِيَ الَّتِي تَرَسُمُ وَجْهَهُ بِحَبْرِ الْأَبَدِيَّةِ. وَمَعَ أَنَّهُ
اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِمَجْرَى الْكَوَاكِبِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُسَيِّطَرَ عَلَى
مَجْزَى الشَّفَنِ وَشَهَوَاتِهَا.
هَكَذَا كَتَبَ فِي يَوْمِيَّاتِهِ:
«كَلَّا، لَنْ أَقُولَ: النَّاقَةُ لَمْ تَعُدْ تُجْدِي.



لن أقول اهدت يدا العالم وقدماه إلى رقصِ الجاز الملائكي.
سأقول:

انكسرت الجرارُ التي ملأها النّواسي والخيام،
وامتزجت أباريقهما بفخار الضوء.

وسوف أرافق بُزج دُبي،

يقرأ في عزّلتة العالية،

جزر البحر العربي في ذلك الكتاب الضخم
الذي يكتبه مدُّ التاريخ».

III الليل والفجر

-١-

حلم الليل بيتٌ

هذهات أن ينتهي الفجرُ من بنائه.

-٢-

هو ذا نملُ الليل

يجزّ وراءه خبرَ الفجر.

-٣-

مرةً، فاجأت الفجرَ

يفسل صدأ الليل.

نفد ماء الغسل، ولم تنفد الحاجة إليه.

-٤-

صوّد الليل داخلَ الليل

تزيّن دفترَ الفجر:

هي أمتّع ما يُقرأ فيه،

وأشهى ما يُرى.

-٥-

تَوَثَّرَ الشَّمْسُ،
عندما تخرجُ من بيتها مع الفجر
أن تذهب إلى العمل
في زِي امرأة عاشقة.

-٦-

تَحَتِ خُطُواتِ اللَّيْلِ،
يتكسر زجاجُ الفجر.

-٧-

لن تُشَبِّهَ أَبَداً، أيها الفجرُ
جسدَ المرأة التي أحبها.
وأنتِ كمثلِه، أيها الليل.

-٨-

لِلَّيْلِ حَقُولُ
كأنهن نساءٌ يتشهنن بذارَ الفجر.

-٩-

خَاتَمَ اللَّيْلِ
في إصبعِ الفجر.

-١٠-

فَجَرَأَ، عندما استيقظتُ أمس،
رأيتُ الشمسَ كأنها تُغَطِّي وَجْهَها،
ربّما لكي تعرف
كيف تتذكر سريرَ الليل.

- ١١ -

فِي مَنَاجِمِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ،
يَجْلِسُ اللَّيْلُ وَالْفَجْرُ صَامِتَيْنِ.
عِنْدَمَا يَطِيبُ لِهَمَا الْكَلَامُ،
يَأْخُذُهُمَا الْحَدِيثُ عَنِ الْقَتْلِ وَالْهَجْرَةِ وَالْعَرَبِ.

- ١٢ -

يُمَضِّي اللَّيْلُ أَضْعَبَ أَوْقَاتِهِ
فِي نَزْعِ الْأَغْطِيَةِ عَنْ سَرِيرِ الْفَجْرِ،
يُمَضِّي الْفَجْرُ أَطْيَبَ أَوْقَاتِهِ
فِي تَرْتِيبِ فَرَّاشِ اللَّيْلِ،
وَفِي اخْتِيَارِ الْأَغْطِيَةِ وَالْوَسَائِدِ.

- ١٣ -

عِنْدَمَا يَحِينُ الشُّرُوقُ فِي بَحْرِ الْعَرَبِ،
تَضْطَحِبُ الشَّمْسُ مَعَهَا رَفِيقِيهَا:
اللَّيْلُ تَحْتَ سُرَّتِهَا،
وَالْفَجْرُ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا.

- ١٤ -

صَبْرَاءُ - بَخْرٌ آخَرُ:
تَكْتُبُ اللَّيْلُ بَرِيشَةَ الْمَوْجِ،
تَكْتُبُ الْمَوْجُ بِحَبْرِ اللَّيْلِ،
وَالْفَجْرُ قَارِئَهَا الْأَوَّلَ.

- ١٥ -

قُلْ عَنِّي، زِيُوسَ، مَا شِئْتَ،
وَاعْظُبْ كَمَا لَمْ تَغْضَبْ مَنْ قَبْلَ،
لَنْ أَبْدُلَ، لَنْ أَنْكَرَ، لَنْ أَتَنَكَّرَ:

نعم، إنها فينوس، فينوس نفسها
تلك المرأة التي أمضيتُ معها الليلَ والفجرَ،
سائحةً في بَحْرِ العرب.

-١٦-

رَمَى اللَّيْلُ شِبَاكَهُ فِي بَحْرِ الْعَرَبِ،
فَتَصَيَّدَ الْفَجْرَ،
رَمَى الْفَجْرُ شِبَاكَهُ،
فَتَصَيَّدَ اللَّيْلَ.

-١٩-

فِي كُلِّ مَكَانٍ، يودُعُ اللَّيْلُ الْفَجْرَ
وداعٍ لقاءٍ قريبٍ،
إِلَّا فِي بَحْرِ الْعَرَبِ:
اللَّيْلُ وَالْفَجْرُ لَا يَفْتَرِقَانِ،
كَمَثَلِ الْوَرْدَةِ وَعِطْرِهَا،
أَوْ كَمَثَلِ خَدَّيْنِ لَوَجْهِ وَاحِدٍ.

-٢٠-

«قَبِيلُ أَنْ يَنْهَضَ اللَّيْلُ مِنْ سَرِيرِهِ،
سَامِعًا لَكَ الْفَرَّاشَ، يَا حُبِّي»:
تُغْنِي نَجْمَةُ الْفَجْرِ، فِي بَحْرِ الْعَرَبِ،
كُلَّ يَوْمٍ،
وَحْدَهُ، حُبُّهَا، لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يُصْغِي إِلَيْهَا.

IV بقين الموج

-١-

تلك هي أمواج لا عهدَ لي بها



تهجمُ عليّ.
اتركوها، إذًا، أيّها الأصدقاء،
تتلاطم، ولتجرفني -
إنّها أمواج الرّغبة.

-٢-

حتّى الآن، أيّها الشّعـر،
لم تفتح لي أيّة نافذة
على ذلك المجهول الذي تعدّ به.

-٣-

للغسق في بحر العرب
حمرةً ينسجها ريشٌ يتطايرُ في أفقٍ
كأنّه حيٌّ في مدينة الفضاء
تسكنه فصائلٌ من طيور البجع.
حُمْرة -
تحضنها دائماً على الشواطئ
حدائقٌ من أقحوان النّوارس.

-٤-

تعرف، أيّها البحر:
منذ نشوئك،
لم تتوقّف عن عزف تلك الموسيقى
التي ابتكرتها طفولة أمواجك.
لكن، كلّما أضغينا إليك،
يُخَيِّلُ كأنك تعزف للمرّة الأولى.

-٥-

الماء، عادةً، هو الذي يبكي
بين يديّ الشّمس.

فَلَمَّا إِذَا، فِي بَحْرِ الْعَرَبِ،
نَجِدُ أَنَّ الشَّمْسَ هِيَ الَّتِي تَبْكِي
بَيْنَ يَدَيِ الْمَاءِ؟

-٦-

لَا جُدُورَ إِلَّا فِي الْمَاءِ:
وَتِلْكَ هِيَ خُطْبَةُ الْمَلْحِ
فِي وِدَاعِ الشَّوَاطِئِ
وَفِي الْعُودَةِ إِلَيْهَا.

-٧-

مَلَأَحْ فِي بَحْرِ الْعَرَبِ،
يَقْرَأُ الرِّيحَ وَالْأَفْقَ،
الْبَرَّ وَمَا وَرَاءَهُ،
التَّارِيخَ وَتَحَوَّلَاتِهِ -
فِيَكْتُبُ لِأَبْنَائِهِ:
«هَلْ سَتُصَدِّقُونَ
إِنْ قُلْتُ لَكُمْ
الْكُونُ مِثْلُ
وَالزَّمَنُ دَائِرَةٌ؟»

-٨-

«لَا رَغْبَةَ لِي غَيْرَ الرَّغْبَةِ»:
يَهْمِسُ الْمَوْجُ لِلشَّاطِئِ، فِي الْمَدَى.
فِي الْجَزْرِ، يَهْمِسُ:
«أَنَا الدَّاحِلُ»
وَلَيْسَ الْخَارِجُ إِلَّا دَاخِلًا آخِرًا.
هَكَذَا أَتَعَدَّدُ،
وَأُظَلُّ وَاحِدًا»

-٩-

يقول بحرُ العرب:
«المرئي، عندي، يتجرّد في الحلم
والأمرئي يتجسّد في العمل.
الحلم والعمل
جناحا هذا الطائر العابر
الذي يسير على قدمين اثنتين،
ونسَميه الإنسان.
«سافر في»، يقول الحلم،
وسوف ترى أَنَّ السَّماءَ أجمل من الأرض». «سافر في»، يقول العمل،
وسوف ترى أَنَّ الأرضَ أجمل من السَّماء». «جناحان عاشقان
كلّهما يرى نفسه في الآخر».

-١٠-

«الماء يُلامس، ينفذ ويخترق،
هكذا يكتبُ الجذور. هكذا يتخطاها.
الطبيعةُ كتابة الماء.

-١١-

السَّواطِئُ نفسُها لا تقبلُ
أن يَنْهَزَمَ الموجُ الذي يهجمُ عليها.
كذلك البحر،
لا يقبل أن ينزل الموجُ عن كتفيه.

-١٢-

أيُّها الأسلاف الذين أخذهم الموجُ
إلى الأبد،

هل تقولون لنا،
أين تلك المرافئ الخفية التي كنتم تتجهون إليها؟

-١٣-

الشمس تنحني على صدر الرمل، حارة غاوية:
أفناك سرير يتسع لهذا الانحناء؟

-١٤-

لماذا، يا فراش الماء،
تخون حب الريد؟

-١٥-

عندما يتحدث البحارة عن الحقيقة،
يأخذ الريد بالكلام على الوهم.

V شمس

في رعاية الماء والرمل

-١-

- لماذا يبدو الأكثر قدماً في بحر العرب
كأنه الأكثر جدة؟
- تلك طبيعة يتعذر فك أسرارها.

-٢-

الحياة، كما يزعم الموت، أسطورة.
غير أنها، كما تؤكد الأشعة،
موج يتلاطم أبداً.
يواصل الزمن في قاعة المسرح العربي
عزف لحنه -

الثَّقِيلِ، البطيء، الميتِ،
القديم.

—٤—

ما مِنْ صَوْتٍ فِي الْعَالَمِ
يَعْرِفُ أَنْ يَغْنِيَ الْمَوْتَ، اسْتَهْتَاراً بِالْحَيَاةِ،
كَمَا يَغْنِيهِ الصَّوْتُ الْعَرَبِيُّ:
أَهِيَ فَضِيلَةٌ، أَمْ رَذِيلَةٌ؟

—٥—

مَا الْفَرْقُ، فِي الْمَوْتِ،
بَيْنَ وَرْدَةٍ مَيِّتَةٍ وَامْرَأَةٍ مَيِّتَةٍ؟
لِمَاذَا لَا نَتَذَكَّرُ فِي الْحَيَاةِ هَذَا السَّوَالِ،
فِيمَا نَشْمُ وَرْدَةً،
أَوْ نُعَانِقُ امْرَأَةً؟

—٦—

كَيْفَ أَعْتَذَرُ لِلْكَلِمَاتِ؟
لَا أَعْرِفُ أَنْ أَضَعُ
فِي عُنُقِ الْمَوْتِ،
أَيَّ عِقْدٍ مِنْ عُقُودِهَا، إِلَّا مُنْفَرِطاً.

—٧—

لَا يَقِينُ إِلَّا فِي الْحُبِّ،
لَا يَقِينُ حَتَّى فِي الْحُبِّ.

—٨—

وَضَعْتَ مَوْجَةً رَأْسَهَا عَلَى الرَّمْلِ،
وَشَهَقْتَ مَيِّتَةً

-٩-

- «مِنْ أَيْنَ لِي
أَنْ أَتَعْلَمَ حِكْمَةَ الشَّاطِئِ،
وَلَا أَكَادُ أَوْلَادَ حَتَّى أَمُوتَ»؟
سَأَلَتْ مَوْجَةً أُخْتَهَا،
وَلَمْ تَنْتَظِرْ جَوَابًا.

-١٠-

وَأَتَتْ أَيْضًا، أَيُّهَا الشَّاعِرُ،
تَسْأَلُ: مَا الْحَقِيقَةُ؟
أَلَيْسَتْ حَلِيبًا
فِي ضَرْعِ الرِّمْلِ؟

-١١-

كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَقْتَرِبَ مِنَ الْغَيْبِ
يُدْفَعُنِي جَسَدِي إِلَى الْإِقْتِرَابِ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ:
هَلْ هُوَ أَخٌ لَه، أَوْ صَدِيقٌ، أَوْ عَاشِقٌ؟
هَلْ جَسَدِي غَيْبٌ آخَرُ؟

-١٢-

الْبَحْرُ، هُوَ كَذَلِكَ، يَجْدِفُ سَفِينَتَهُ
لَكِنْ فِي اتِّجَاهِ نَفْسِهِ.

-١٣-

عَرَقَ الْحَبَّ عَذْبٌ يُجَدِّدُ الْحَيَاةَ،
وَعَرَقَ الْكِرَاهِيَةَ سُمٌّ يَقْتُلُهَا.

-١٤-

الماء سرٌ بعيدٌ، بل هو السرُّ الأبعد
غير أنه أليفٌ قريبٌ
حتى أننا ننساهُ
بفعل هذه الألفةِ وهذا القربِ.
ليس الماء، إذاً،
لغةً في الظُّمأ والرِّي،
بقدر ما هو لغةٌ في السرِّ،
وفي الكشفِ عن السرِّ.

-١٥-

«توقفوا عن قراءة كفي»،
يقول بحر العرب لملاحيه،
اقرأوا الموج.

-١٦-

يَعْمَل الملاحون، ويحلمون
فيما تترصدُ النُّوارسُ كنز الأمواج،
وتُعَلِّل الأمواج صَبْر النُّوارس.

-١٧-

لا تحلم الحياةُ أحلامها المنورة
إلا عندما تنام في سريرٍ
كأنه قَلَق الموج.

-١٨-

رياحُ البَحرِ أهدابٌ للفضاء:
حَرَام، أيتها الصادقة،
أين أنتِ؟ ماذا ترين؟ ماذا تقولين؟

- ١٩ -

غالباً،

لا تكون موسيقى الأمواج

متناغمة مع كلام الشواطئ.

غالباً،

ليست هذه علامة سيئة.

- ٢٠ -

«الأكثر غرابة هو الأكثر قرابة»:

العبارة الأولى التي يتذكّرها بحر العرب،

عندما تضع الشمس، فجراً،

وجهها على وجهه.

VI مُخِيلَة لابتكار المكان

- ١ -

كان أمروؤ القيس، فيما يروى، يَخْصِفُ نعلَهُ بالماءِ والزَّمَلِ،

في اللَّحْظَةِ ذاتها.

هكذا كان يقول لأصحابه:

أن نحيا هو أن نحول الجدرانَ إلى أجنحة.

وكان يقول:

المُخِيلَة هي التي تَبْتَكَرُ المكانَ -

محمولاً على ناقةِ الشَّعر.

وكان يُغري الشمسَ، وهي تَسْتَيْقِظُ، أن تتلمَسَ آثارَ النُّجومِ على

وسادته، قُبَيْلَ أن يَسْتَيْقِظَ.

وكان يقول: لي مَنْزِلان،

واحدٌ لا يَصْلُحُ للسُّكْنَى،

وآخرُ أَقِيمُ فيه - مُتَرْحِلاً بينَ أَشْئانِ الوقت.



-٢-

أَسْأَلُكَ أَنْتَ، أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمَتْرَحُلُ،
هَلْ رَأَيْتَ قَصِيدَةً أَجْمَلَ مِنْ سَرِيرِ فَاطِمَةَ؟

-٣-

أَنَا جَارٌ لَكَ، أَيُّهَا الشَّاعِرُ،
فِي الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي يَتَنَوَّرُهَا بَحْرُ الْعَرَبِ،
وَأَشْعُرُ أَنْنِي كَمِثْلِ شَجَرَةٍ..
تَسْتَجِي حَتَّى مِنَ الْمَطَرِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَيْهَا.

-٤-

انْظُرْ بَعِينَ السَّمَاءِ الَّتِي تَخْتَضِنُ بَحْرَ الْعَرَبِ،
وَسَوْفَ تَرَى أَنَّ الْوُجُودَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ النَّوْمِ.
انْظُرْ بَعِينَ الْأَرْضِ الَّتِي تَلْبَسُ السَّمَاءَ،
وَسَوْفَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ السَّمَاءَ
شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ الْحُلُمِ.
هُنَا، بِاسْمِكَ يَا امْرَأَ الْقَيْسِ،
أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ: وَزِدَةَ الْفَلَسْفَةِ تَذِبُلُ،
مِنْذَ أَنْ تَتَفَتَّحَ.
وَالْعِطْرُ هُوَ أَوَّلًا أَنْ تَحْيَا
فِيمَا تَتَنَشَّقُ التَّعَبَ
مِنْ قَدَمِي هَذِهِ الشَّمْسِ
الَّتِي تُسَمَّى الْحَيَاةَ.
أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ:
الشِّفَاءُ لَيْسَتْ أَوَّلًا أَنْ تَتَكَلَّمَ
بَلْ أَنْ تَرُضَعَ شِفَاهَا أُخْرَى.
أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ:
رَمَنْ الْأَرْضُ لَا يَقْرَأُ
إِلَّا بِالْجِرَاحِ الَّتِي تَكْتُبُ جَسَدَهَا.
أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ:

لا يسبق الفجر نفسه وغيره،
إلا في الشعر.

-٦-

لو لم تكن هناك سماوات
لما كان للأرض إلا قدم واحدة،
ولكان الرأس مجرد جرّة
ليس فيها غير ماء آسن.
وأعرفك، يا امرأ القيس:
عندما تقول السماء، تقول الترحّل وتقول التحول.

-٧-

أضّم صوتي إلى صوتك، يا امرأ القيس،
مقسماً أن الحكمة ورده ذابلة،
والعطر نفسه يشجعني على هذا القسم.

-٨-

هل تغضبين مني، أيتها الطبيعة، أو تغارين،
إن قلبك إن قلبي الآن
أشدّ خفقاناً
من رياحك التي نسجت لامرئ القيس
خطواته وقمصانه؟

-٩-

تحت وسادتي،
أخبي هذه الرسالة التي كتبها امرؤ القيس
قبيلاً موته، إلى أحد أصدقائه:
«ينبغي عليك أن تحارب الأفق ذاته،
إن كنت لا تقدر أن تبتكر فيه،
أثيرك الخاص»

VII سوق الظلام، سوق الضوء

-١-

سابقاً، سُمِّيت «سوق الظلام»،
لاحقاً، غلبَ عليها اسم «سوق مطرح».
لماذا، لا تُسمَّى، الآن، «سوق الضوء»؟
خصوصاً أنَّ للشمس فيها كُزْسِيّاً عالياً:
بعضُ قوائمه في المرفأ، تُحيط بها تقاليد البحر،
ويعضها في حركة العمل تحيط بها تقاليد النهار والليل.
سوقٌ - حَقْلٌ للتَّاريخ:
تتغايشُ المذاهبُ، القيمُ، الصَّناعات.
وتتعانقُ أنحاءُ الأرض.
يُمكن أن تُعطى لهذه السوق أسماءُ أخرى كثيرة «لا شرقية ولا
غربية»: سوق المعنى. سوق الصُّور. سوق الحكمة.
سوق الصِّداقات.
لا تُنس، إذاً، أن تُستَحْضِرَ في هذه التَّسميات ما يقوله أبو حيان
التَّوحيدي:
«الصُّديقُ آخرُ هو أنت».
تَهَيَّأ، إذاً، لكي تُتَقَنَّ أسلوبَ المَوْج، ولكي تغطَّ ريشةَ الكتابة
في رحيق الفضاء.

-٢-

الفضاء الذي تيسر لي أن أتحرك فيه، ناجلٌ وضيقٌ،
قياساً إلى فضاء عُمان.
فضاءٌ - سديمٌ انفعالاتٍ وحواسٍ. لا نقترُبُ فيه
إلى الحقيقة إلا بشكلٍ مائل. أعني على نحوٍ غير مباشر:
نُكَلِّمُ، نَتَأَكَّدُ بِقَدْرٍ ما نمارِسُ اللُّغةَ المجازية. المِجازُ هنا طريقٌ
ملكِيَّةٌ لمعرفة الحقيقة.
فضاءٌ - أعمالٌ فنيةٌ لا تكتمل: لا يكمن مغناها في المادة التي
تكوَّنُها، بل في حركية التكوّن.

ما تكون الألوان، إذًا؟ وما «الشيء» الذي يرسم في الشيء؟ أيجيء من «الدوافع»، أم يجيء من «الغايات»؟ أهو سفر، أم وصول؟ (استطراداً، أيتها الرسامة الجميلة: هل المسألة في الفن أن ينتج الفنان ما يراه، باعثاً فينا الشعور بأن العالم يتجمع حولنا، وأننا نجاوره؟ أم أن المسألة، على العكس هي أن ينتج باعثاً فينا الشعور بأن العالم يتولد، ويتحرك، ويتغير حولنا وفينا؟).

-٣-

شجرة في الشارع (أهي سذرة أم غافّة؟)،
تسهر على ظلّها، تكاد أن تبكي من الوحدة.

-٤-

جبال سودّ: شهيق الفضاء وزفيره.
وفي كل مفترق أسمع صلاة الصّحراء.

-٥-

أمشي: خطواتي أسئلة يلتهم بعضها بعضاً.

-٦-

المساء يَضَعُ عُكَّازَه على العتبة.
تهياً لكي ترى كيف يَنَازُ القمر للماء من الشمس،
تهياً لكي ترى كيف يَغَارُ النهار من الليل.

-٧-

قلتُ في حديثٍ خاص لصديق عُمانِي يُغْنِي بالسياسة:
- هناك التباسٌ هائلٌ في سوق اللّغة السياسية العربيّة.
ألا تعتقد، في ضوء هذا الالتباس، أن العرب، اليوم - سياسياً على الأقل - في حاجةٍ كيانيّةٍ إلى مُستقبلٍ ليس له ماضٍ؟
فوجئ. لكنه قال:

— لا بُدَّ من أن نبتكر لغةً سياسيةً تقومُ على توازنِ المجتمع، لكي نعرف كيف نسيطرُ على هذه اللغة الشائعة التي تقوم على توازن المصالح، وكيف نوجَّهها، لكي نتخطَّها ونتخلَّص منها.

— لغة تكونُ لها أجنحة، ويكون لها فضاء.
— دون ذلك، سيظل كل بلدٍ عربيٍّ يعيش ويفكر كأنه مُجرَّد وظيفة في سوق التاريخ.

— أو مُجرَّد وظيفة في ديوان السماء.

— هل تحدَّثت مرَّةً مع متديِّنٍ أصوليٍّ؟

— نعم. ليس في عُمان، بل في بلدٍ عربيٍّ آخر. وكان النقَّاش يدور حول علاقة الإسلام بالفنِّ والأدب. أذكر أنني سألته: هل تدرك المأزقَ الديني الذي يكمن، مثلاً، في عبارة «فَنٌّ إسلاميٌّ»؟

فقال مستغرياً: مأزق؟ ما هو؟

قلتُ: إنَّها عبارة تضطرُّك، مبدئياً ومنطقياً، وانسجاماً مع مقتضياتها، إلى استخدام عبارات أخرى، مثل: «رَقص إسلامي»، و«غناء إسلامي»، و«موسيقى إسلامية»، وإلى استخدام عباراتٍ مماثلة في ميادين العلوم، مثل: «فيزياء إسلامية» و«كيمياء إسلامية»، و«علم تشريح إسلامي»... إلخ.

هل هذا ممكن؟ وكيف تحدَّد آنذاك الخصوصية الإسلامية في هذه الفنون وهذه العلوم؟

فجأة، رأيته يضطرب، وينهض غاضباً، ويغادر الجلسة.

— ٨ —

فندق تشيدي: عندما دخلته، شعرتُ أنَّ في اللغة العربية أكثرَ من كلمة، إذا لُفِظَتْ قُرْبَ نَخْلَةٍ تحوَّلت النخلة إلى يَمَامَةٍ أو إلى مَوْجَةٍ.

وشعرتُ أنَّ الأفق حوله يَخِيط جلبابَه بإبرِ النخيل.
صمَّتْ هو نفسه صوتُ اللغة.

والجسدُ، ذكراً وأنثى، مأخوذة بالخروج من شبكةِ اليقين.

-٩-

سَأخْبِرُ الْمُتَنَبِّيَ فِي وَقْتِ آخِرِ أَنْنِي اهْتَدَيْتُ بِهِ، وَضَرَيْتُ مُوْعِدًا
بِاسْمِهِ مَعَ مَلِيكَةِ سِبَا.

قُولُوا، إِذَا، لِلْقَمَرِ أَلَا يَخْرُجُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ مِنْ بَيْتِهِ.

وَقُولُوا لِكُلِّ شَيْخَةٍ أَنْ تَمْزَجَ صَلَوَاتُهَا الصَّبَاحِيَةَ بِفُتَاتِ خَبْزِ طَيِّبٍ،
وَأَنْ تَنْثَرَهَا طَعَامًا لَطِيوْرِ الصَّبَاحِ، طَيُّورِ الدُّورِيِّ، خُصُوصًا.

-١٠-

سَبَقْتَنِي وَرَدَةُ الْمَادَةِ، هَذَا الصَّبَاحِ، وَخَرَجْتَ قَبْلِي لِابْسَةِ أَشْعَةِ
الْغَيْبِ.

-١١-

لَطِيوْرِ النُّوَارِسِ، هُنَا، أَجْنَحَةٌ تَبْدُو كَأَنَّهَا شَبَاكَ لِاصْطِيَادِ الْهَوَاءِ.

-١٢-

عَلَى كَتَفَيَّ سِدْرَةٌ يَتَمَوَّجُ مِنْدِيلُ اللَّيْلِ. فِي جَذْعِ نَخْلَةٍ يُنْحَرُ مَرْكَبُ
الْوَقْتِ.

يَحَارُ الْأَفَقُ نَفْسُهُ فِي تَذَوُّقِ طَعْمِ الْمَكَانِ.

-١٣-

امْرَأَةٌ تَسِيرُ وَحْدَهَا فِي قَاعَةِ الْفَنْدُقِ، كَأَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَرْقُصَ.
خُذْهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ. أَيُّهَا اللَّيْلِ.

-١٤-

أَيَّامِي الْخَمْسَةُ فِي عُمَانٍ تَوَكَّدَ لِي، هِيَ كَذَلِكَ، أَنَّ الشَّعْرَ هُوَ الضَّوُّ
الْوَحِيدُ لِقِيَاسِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَقِيقَةِ.

-١٥-

أَيْنَ تَذْهَبِينَ، أَيَّتُهَا السَّعَادَةُ الْمَسَافِرَةُ؟
تَنْبَأْ عَنِّي، أَيُّهَا الْفَجْرُ.



11

12

13

14

15

16

17

18

جَذْرُ السَّوْسِنِ





جَنْزُرُ السَّوْسَنِ I. بيره مه كرون

الجبَلُ الشَّيْخُ فِي السُّلَيْمَانِيَّةِ يَلْبِسُ عِبَادَةً مِنَ الظِّلِّ وَالضُّوءِ وَيَلُوحُ
لِلْفِرَاتِ.

أَنْظُرْ إِلَيْهِ فِي مَاءٍ يَتَدَفَّقُ مِنْ جِرَارِ غَيْمٍ
يَنْزَلُ فَوْقَهُ عَلَى سَلَالِمٍ مِنْ حِبَالٍ بَيْضَاءَ.
أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَأَقْرَأْ ذُرُوءَاتِ الْأَفْقِ.

إِنْ كُنْتُ صَدِيقًا، فَسَوْفَ يَسْبِقُكَ مَنَادِيًا: يَا أَخِي.
هُوَ ذَا يَرِيْتُ عَلَى كَتِفِي أَرْضٍ تَنْبَسُطُ أَمَامِي، وَكُلُّ مَكَانٍ فِيهَا
عُرْسٌ لِلْجَسَدِ.

قُلْتُ لَهُ: أَحِبُّ شَيْخُوخَتِي، غَيْرَ أَنَّني أَشْتَهِي الْآنَ أَنْ أَعُودَ طِفْلًا،
أَتَعَلَّمُ كَيْفَ أَلْعَبُ حَقًّا مَعَ الثَّلْجِ وَالْغَيْمِ.
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَتَخَيَّلُ، إِذَا، خِيْمَةً أَخَذَ إِلَيْهَا قَوَافِلِي كُلَّهَا مِنَ الشَّعْرِ
وَالْحَبِّ وَالصَّدَاقَةِ،

وَأَصْطَحِبُ أَشْيَاءَ لَا أَسْمِيهَا لَكِي تَظَلَّ أَسْرَارًا أُبَعَثُهَا فِي الْقُرَى
وَالْمَدَائِنِ، حَيْثُ يَرِغِبُ الْمَعْنَى.

كُنْتُ قَدْ اسْتَيْقِظْتُ بَيْنَ قَافِلَةٍ مِنْ فَرَاشَاتٍ تَلْتَهُمْ رَحِيقَ الْحَقُولِ.
وَاسْتَيْقِظْتُ الْكَلِمَاتُ كَمَثَلِ عَاشِقَاتٍ فَكَّكْنَ أَزْرَارَهُنَّ: فِي هَذِهِ
الْكَلِمَةِ يَخْتَبِئُ وَادٍ، فِي تِلْكَ مَجْتَمَعٌ لِكَوَاسِرِ الْجِبَالِ. وَتَكْمُنُ فِي
بَعْضِهِنَّ أَعْشَاشٌ لِفِرَاطِ الْأَجْنَحَةِ.

وَكَانَتْ كُلُّ لَحْظَةٍ إِبْرِيْقًا لِمَاءِ الشَّهْوَةِ.
مَرَارًا،

أَخْطِئَاتُ فِي الْأَحْلَافِ الَّتِي كُنْتُ أَعْقِدُهَا مَعَ الْهَوَاءِ، وَكَانَ الْهَوَاءُ
يَخَفِّفُ عَنِّي هَذَا الْخَطَأَ، قَائِلًا عَنْ نَفْسِهِ: أَحْتَاجُ إِلَى التَّشَرُّدِ
وَالضِّيَاعِ لَكِي أَحْسِنَ الْحَبَّ.

ألهذا أحبّ غالباً ما لا أعرفه؟ ألهذا أُسرُّ، غالباً، عندما أسمع يقظةَ
الجنون تسخر من وسادة العقل؟ ألهذا تكون، غالباً، ريشةُ السؤال
عبيثاً على عروش اليقين؟
لكن،

ألن تستسلم، أخيراً، إلى الجُر،
أيها الشَّرْسُ الشَّقِيعُ، أيها المستحيل؟

II. عُمرى خاور

باكرًا، كما ينهض الفجرُ من سريرهِ، ويخرج لابسًا معطفَ الشمس،

نَهْنِئًا إِلَى حَلْبَجَةٍ. رافقتنا ذِكْرَى مزشوشةٌ بسائلِ كيماويٍّ، كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا تَلْتَهَبُ فِي ذَاكِرَةِ الْحَقُولِ. رافَقْنَا سَجَابَ يَتَقَطَّعُ، يَنْفَصِلُ يَتَّصِلُ، وَيَهْبِطُ كَأَنَّهُ شَهِيقُ الرِّيحِ وَزَفِيرُهَا.

وقلنا للهباء الذي تحمله رِيحُ الجنوب: رجاء، أَرْجئِ هَبْوَيْكَ. الطريقُ بيوتٌ كمثل تضاريسٍ في عَضَلِ المادَّة. رأيتُ الطبيعة تَغْسِلُ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ نَهْدِيهَا وَقَدَمِيهَا. رأيتها تَتَكَيَّ عَلَى الْعَتَبَةِ. تُسَدِّلُ شَعْرَهَا الطَّوِيلَ وَتَسْلِمُ عَلَى أَبْنَائِهَا الْغَادِينَ الرَّائِحِينَ.

الطَّرِيقُ أَطْفَالٌ يُزْنَرُونَ الشَّجَرَ بِأَحْلَامِهِمْ.

الطَّرِيقُ جَرَّاحٌ نَازِفَةٌ فِي هِيَائِلِ التَّرَابِ.

الطَّرِيقُ صَمْتُ تَتَقَوَّسُ فَوْقَهُ خَاصِرَةُ الْفَضَاءِ.

فِجَاءَةٌ حَلْبَجَةٍ: عُمرى خاور -

سمعتُ الصورةَ. رأيتُ الأصواتَ.

وَحَقِيقَةً، كَانَ الْحَجَرُ يَبْكِي.

وَفِي مَسَافَةٍ تَنكَمِشُ فِي بَرْعِ زَهْرَةٍ، بَدَتْ الشَّمْسُ كَمَثَلِ

تَحْوِيفٍ أَحْمَرَ فِي جَسَدِ النَّهَارِ.

وَكَانَتْ الْحَقُولُ أَسْرَةً تَنْطَرِحُ عَلَيْهَا سِلَالُ الْعَذَابِ، صَعُودًا إِلَى

الْمَجْرَآتِ.

عُمرى خاور -

رَبْعَةٌ فِي الْحِسِّ وَالْمُخَيَّلَةِ، فِي الْحَدْسِ وَالتَّنَفُّسِ وَالنُّطْقِ. هَوْلٌ

يَتَمَدَّدُ عَلَى التَّرَابِ فِي أَشْكَالٍ وَمَجَسِّمَاتٍ يَرْتَعِشُ فِيهَا الْفَلَكَ،

وَيَتَلَبَّلُ الْمَعْنَى.

كَيْفَ يُمَسَّمَرُ الْإِنْسَانُ عَلَى دَرِيئَةِ اسْمِهَا الْقَتْلُ؟

كَيْفَ تَكُونُ الْجَمِجِمَةُ شِعَارًا لِلْوَطَنِ؟

الْمَعْنَى؟ مَنْ يَقْدِرُ، مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَنْفِخَ فِي صُورِ الْمَعْنَى؟

وَإِخْتِلَاطُ الْمَوْتِ بِالْحَيَاةِ وَالتَّبَسُّ كُلُّ مَنِهْمَا عَلَيَّ. وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

يَدْخُلُ فِي تَحَوُّلَاتِ التَّبَسُّتِ هِيَ كَذَلِكَ عَلَيَّ. -



موتٌ يقاتل الموت، موتٌ قمرٌ وشمسٌ في فراشٍ واحد. موتٌ ثَقِبَ
في جسم الموت.

موتٌ يقظةٌ في الموت. موتٌ رئةٌ للحياة. موتٌ عيدٌ للموت. موتٌ
قيور أطفال وقبور أنفال. موتٌ نردٌ. موتٌ دمى. موتٌ خريطةٌ
للمدارات. موتٌ حقلٌ وزرعٌ وحصاد.

موتٌ ينبوعٌ في جبلةِ الرمل. موتٌ سلّمٌ للموت. موتٌ شاطئٌ. موتٌ
شراعٌ ومرساة.

موتٌ فرسٌ فارس. موتٌ سخريةٌ. موتٌ عناقٌ. موتٌ جالسٌ بين
يدي طفل. موتٌ يستحمٌ في بحيرةِ الدمع. موتٌ أسيرٌ أسرٌ، قَتِيلٌ
قاتل. موتٌ فأسٌ وقيثار. موتٌ يرقصٌ مذبحاً. موتٌ يغنيُ
بالكرديّة، ويتذكّر بالعربيّة.

موتٌ بغداد وأربيل في جبةٍ واحدة.

من قال هناك مَهْدٌ للحياة، والأشياء هادمةٌ فيه؟ الأشياء سواء
كانت غباراً أو قمرأ، وردةً أو سرّة، أو كانت أفراحاً أو تباريح،
تنام وتستيقظ في فراش البصر، وتحت غطاء البصيرة.

هكذا لا تنام حلبةٌ وإن خَلَّتِ النوم. دائماً شطرٌ منها يعانق
أواخر الليل، وشرطٌ يعانق أوائل السحر. دائماً تطلع منها شمسٌ،
وينشق فيها قمر. دائماً، ترافقها جوقَةٌ أشعةٍ مما فوق النسيان،
ومما بعد الحاسّة.

حَلْبَجَةٌ حقلٌ موتٍ مسكونٌ بمحراثٍ اسمه الحياة.

* كانت الكواكب تسير نحو أوجها، في عربةٍ تجرّها خيول الهواء.
وكان الشجر يمسح الحزن عن وجهه بمناديل زرقٍ بيض، فيما
تتحول البراعمُ إلى أقلام تكتب المراثي لأطفالٍ احترقوا. أثرتُ
ألاً أفتَحَ خزانة الأيام المملأى برسائل كتبتها نساء ذُوَيْتِهْنِ آلة
الكيمياء.

* سياجُ الرمز حول المقبرة الجماعيّة يتفجّر صوراً/

تنحني نجمةٌ لكي تكتب اسمها على قبر امرأة.

تغلغلُ أيها الشعر في تخاريم المكان،

تقلبُ أيها الفكرُ في خفاياه.

ترك الموت أوراقه في دُرج الزمن واثمن عليها الريح.
أغلقت المقبرة دارها وأخذت تقرأ رسالة كنت كتبتها إليها.
* قيورُ نُقش عليها:

«يستطيع القصف الكيميائي أن يقتل كل شيء
إلا الحب».

* ماذا تقدر حلجة أن تفعل من أجل بشرٍ يحملون أفكاراً بلا
مناخ، ولا أبجدية لها؟

أفكارٌ تنخسف كمثُل قصورٍ تهرأت، والرايات خِرَقٌ لتنظيف
الديابيات والمدافع والطائرات. وما هي الشغوبُ اقتتالٌ، والقبائلُ
أرْبُ يُنثر في المعسكرات. وليس في الأفق إلا سيولٌ من اللهب
تتفجر من أتون المذاهب.

وكل جمال ملعون.

إنه الحاضر يرن كمثُل أجراس ممّا قبل النّحاس.

إنه العصر تشنّج لا يلد إلا الطُغاة والغُلاة والسُّتات.

صحيح أن الريح تهبّ قويّة، لكن يبدو كأنها تهبّ دون أن تلامس
أي شيء.

تعبّر فوقنا، تعبّر فينا، لا تصادف إلا الرماد والغبار. كأننا
اللاشيء في يد الشيء.

وماذا تقدر حلجة أن تقول لأولئك الذين يقولون:

يكفي لكي تغير العالم،

أن تغير ثوبك؟

* يقول عمري خاور:

لا يكفي أن يكون لك شكل الإنسان،

لكي تكون إنساناً.

* قلبي داليا، كيف حدث أن قمر حلجة اختبأ مرّة بين نهدي

امرأة كانت تُحتصر

مديرة وجهها إلى قبة الكون؟

كيف حدث أن الأشياء كلّها كانت تبكي كمثُل الأطفال؟

داليا، لا بدّ للمرأة من أن تبتكر اسماً آخر لما يُقال له الواقع، ولما

يقال له الوهم.
لا بدّ من أن تصنع سفناً ومراكبَ للحبّ تطلقها دون ربابنة ودون
أشعةٍ في أمواج الخبر واللون.
* كيف أخرج من حلبجة؟
كان الشجر الذي احترق يصنع من رماده بيتاً للعشب.
في كلّ غصنٍ في كلّ شجرة،
شفتان تقرأن، وعينان تبكيان.
ورأيت الأبجدية الكردية تتطاير من الأنقاض والأشلاء، حرفاً
حرفاً، وصورةً صورة،
كمثل ذراتٍ من غبارِ الطلّغ.
كلّما لا تقدّر القصيدة أن تقف على الورق لكي تحيي حلبجة.
لتقف إذن على جبين العالم.

III. الأمن الأحمر

أبجدية التاريخ مرايا مكسرة:

قطع زجاج تستقيث -

اطلبوا من العذاب أن يهدد الطفولة،

اطلبوا من العطر أن يرسم خرائط الورد في أجسام النساء،

اطلبوا من العين أن تتوسل النهار لكي يكتب تاريخ الليل.

وانظروا - في كل زاوية من الأمن الأحمر

سؤال ينعصر العراق بين أسنانه.

ممر رواق تحيط بك، فيما تعبره، قطع زجاج - مرايا بعدد الكردي

الذين أنفلهم

الطغيان:

مئة واثنان وثمانون ألف قطعة.

في سقفه تتلأأ خمسة آلاف من المصابيح بعدد القتلى الذين

خلفهم القصف الكيماوي.

لم تعد بناية الأمن الأحمر، بفعل هذا الرواق، مجرد كهوف تغص

بأجسام غلقت أو ضللت أو مزقت. تحولت - صارت عملاً فنياً

لتمجيد الإنسان، ومنارة لأخلاق العمل والنضال.

كان الرواق ممرًا مفتوحاً على العذاب، وصار اليوم، بفعل الفن،

رواقاً مفتوحاً على الحرية. وكل ما كان رمزاً للموت أصبح

رمزاً للحياة: أدوات التعذيب، زنازينه، مكبرات الصوت، أجهزة

التسجيل الصوتي التي تبت أصوات الأطفال والنساء والشيوخ،

المدافع والرشاشات، إضافة إلى هدير الطائرات.

وقال مهندس الرواق: لم يكتمل التسجيل بعد. وسوف توضع في

الزوايا تماثيل وهياكل تقول: هو ذا الطغيان والبطش، هو ذا

الدمار والعذاب. هكذا، تدخل الآن إلى بناية الأمن الأحمر،

كأنك تدخل إلى بيت للفن.

* الكردي مبعثر في الآخر (أذلك انتصار أم انكسار؟) سواء

كان التاريخ هو الذي يبعثره، أو كانت القوميات والعصبيات

والخرائط والسياسات.



* الكردي آخر لذوات متعددة - عربية، تركية، فارسيّة (أذلك امتلاء أم فراغ؟) كلُّ منها تحاول أن تنفيه.
لكن أليس نفي الآخر نفيّاً للذات؟ أليس هذا النفي شكلاً آخر للموت؟
* لكن، ها هو التاريخ - معموراً بالحبّ والعمل، يغيّر صورة المكان.

IV. ملكندي

ملكندي - تَنَبَّهَتْ أصواتٌ من لا مكانٍ من الأمكنة كلها. خرافٌ
ربحانةٌ يقيمون في الظنِّ، تغزل بصوفها الملون الأبواب والواجهات.
لا إشارة غير قمرٍ لا يرى، مع أنه يُشير ويتمم.
خطواتٌ تأتي وتذهب على البلاط والتراپ تُفَلِّتُ عُنُوةً من براثن
الحكمة العتيقة.

وبين برج العذراء وبرج السرطان يوزع الفلك أوراق الحظ.
كل شيء يتدنثر بهباء مشحون بكهرياء اللحظة. أطفالٌ يعرفون
كيف يعجنون الطائرات الكيماوية بغبار أقدامهم، وكيف
يرفعون رايات الصنخب الذي يرفع راية اللعب. الطعام المفضل
هو دهن الزمن، والزمن مربوطٌ بخيوط تتدلَّى من النسيج الأزرق
السمائوي.

تكسر الشمس كرسيتها المتنقل وتسير خافية القدمين. وكل شيء
يركب قطاره متجهاً إلى المحطة الأخيرة: الليل.
ملكندي - أشباحٌ من حلب، أطيافٌ من دمشق كمثّل شواهد لقيور
تتحرك في الفضاء.

والحركة ابنٌ ينتهي وأبٌ لا نهاية له. وثمة عطرٌ يرشح من قوارير
يناركها إسلام الفقراء. ترى نفسك هنا، وترى ظلالاً لها تليقها
غيوم الوسوسة. وغالياً يغريك جذبٌ سرّيٌ لكي تحرك يديك
مجاولاً أن تلامس طيفاً، أو تمسك بأكماس شبح. وتشعر كأنك
الغايِر والحاضر في ثوب واحد.

قيصريّة النقيب القباب الأبواب القناطر بساتين ألوان وخطوط.
وليس الشوارع رجاء ولا دعاء. الشوارع أعيانٌ للمادة تأخذك
من رفاق إلى آخر، مصغياً إلى جسمك تتحرك فيه أغصان غابة
اسمها الغيطة. عطارون، ساحة الشيخ محمود أو ساحة السراي.
كتبٌ يتصدّرها هيغل ونيتشه. وفيما تسأل عن النشر وحقوقه
وجريّاته، يتغيّر المشهد:

نساءٌ ينتثرن وردةً وردة.
لكنّ نجمة جدائل تتدلَّى من حبلٍ غير مرئي. للأخت الكبرى،



الشمس، خفَّ أبيض صنعته يدُ كردية، وينطالُ جينز صنعته يدُ أخرى. اجلس أيها الوقت على مقعدٍ حجريٍّ أو خشبيٍّ، أو اجلس على يساطِ صوفيٍّ أحمر. شهوةٌ هناك في حانوتٍ مستطيلٍ تطوّق بأهدابها وردة الجنس. من حانوتٍ آخرٍ مدوّرٍ، تخرج روائح قرفةٍ وبناسون وأنواعٍ أخرى من البهارات والرياحين. سوقٌ تخفق فيها الأقدام كأنها تعجن طينة الأزمنة. صورٌ فوتوغرافية تتلألأ، أو تومئ، أو ترقص. جرائد ومجلات تملأ فراغاً يظلّ فارغاً. السماء مظلاتٌ مثقوبة، والهواء يتأوّه على طيورٍ قُصّت أجنحتها. أصواتٌ تبتلعها حناجر الممرّات.

إنها الحياة اليومية تحتضن جراحها، تكوّن درويها وتعيد التكوين. ماءٌ غابسٌ يغيب في ماءٍ ضاحك. خطواتٌ تعثّرت تنبعث في خطواتٍ تثبت وتتقدّم. إنها شهوة الحياة تستوي على عرشها. لا نعم في المطلق، لا كلاً. يمكن الكلام أن يكون جرحاً. يمكن الجرح أن يكون أفقاً. ضع رأسك على صدر الشمس. إنها الأبدية في هيئة سروالٍ فضفاض.

مقهى الشعب

(عمر شريف محمد)

يستقبلك صاحب المقهى. مرحباً كأنه يفتح صدره لاستقبال أحبائه.

النرد، الدومينو. مثقفون، كتاب، شعراء، فنانون، صحافيون، إعلاميون، قراء.

أوركسترا واحدة وإن اختلفت اللغات.

قيثارٌ بأصواتٍ متعدّدة تتموّج بين المقاعد وفناجين الشاي. على كل مقعد ذاكرةٌ تركت جزنها في العراء، في صدر شجرةٍ أو في عنق يمامة.

يبدو الأمل خباطاً يفتق الليل ويرتق النهار. ويبدو الزمن صورةً تتململ منتظرةً معناها لكي تنطبق عليه.

المقهى أكثر مما هو. مسرحٌ - اسمٌ آخر لفضاء آخر، تنحدر فيه

على أدراج الذاكرة صوراً للشعراء الكُرد -
 بابا طاهر الهمداني، الملا أحمد الجزيري، أحمد خاني، ملا خضر
 نامي، سالم، مولوي، الحاج قادر الكوي، محوي، بيره مرد
 حمدي، أحمد مختار، فائق بيكه س، نوري الشيخ صالح، عبدالله
 كوران، وآخرون ليس شيركو بيكه س آخرهم،
 فيهم وبهم تتفجر كوامن الطبيعة الكردستانية. فيهم وبهم يُقرأ
 الكون بعين الجمال والرغبة والحب، أو يرسم بجبر الأنفاس،
 وتذكرنا كتاباً يتحدثون عن الثقافة كمن يسبحون في الكتب،
 ويقرأون في الماء.
 وكنا نمزج بين الظل والضوء: أيهما الخبز، أيهما الملح - فيما
 نتقاسم الرغبة الأخير الذي كان يخرج آنذاك من تنور الأمل.
 كان الدخان كمثّل شرطي يطارد الهواء. وكنت أتغلغل سرّاً في
 ذلك المقهى الخفي داخل المقهى -
 رأيت كيف تزرّق الرُكب ركوعاً على حصيرة الدقائق،
 وكيف تُخرج السماء عناكبها باسم المستقبل، (في رواية
 لبعضهم)، لكي تبني بيوتها على وجه الحاضر.
 وسمعت من يقول: ينبغي أن نبتكر سماواتٍ أخرى خارج السماء.
 أعطنا شايّاً يا محمد وليكن شعبياً.

أخرج من المقهى. امرأة عابرة، رجلٌ عابر:
 جسمها مليء بالعيون،
 جسمه مليء بالطبيعة.
 * هل الفراغ توهمٌ؟ أليست لفظة الفراغ هي نفسها فارغة؟ أحسستُ
 كأنّ المقهى يطرح عليّ هذين السؤالين. وأجبت في نفسي:
 * لا تعين لما لا تراه العين.
 * كوابيس جنود وكيمياء ترجّ تقاطيع المقهى.
 * يمزج المقهى بين سلطة العمل وفتنة الكسل:
 ألهذا لا ينام الكسل
 إلا في أحضان عملٍ آخر؟



* يقول المقهى:

«أنا المدينة الباحثة عن نفسها أبداً،
وأنا فيها اللغة التي تلهو، لكيلا تلغو».

* إبريق الغيب في المقهى
ينكسر مسكوباً في شاي الواقع.

في المقهى /

وضعنا الموت في قفص، وأطلقنا طيور الحياة.
وقال صوت مفرد:

إن كانت نوافذ المقهى مأكرة،
فلأنّ الهواء يحتفي دائماً بتنصيب نفسه ملكاً عليها.

*

تلك اللحظة،

دخل التاريخ في الشاي، دخل في ماء الطبيعة، بعد أن كان قد
دخل في ماء الحب.

تلك اللحظة،

كان التاريخ يتمرد على عباءة القبيلة، ويحاول أن يصير بيتاً
عالياً في مدينة الكون.

تلك اللحظة،

عقد التاريخ حلفه مع الفن،
وأخذ يبتكر الأجنحة.

VI. عينكاوا

أزمنة أنظمت شعوب تاريخ أوراق إبادات جيوش
أنهار حكمة مضايق برازخ أمثال مواعظ رسوم
تماثيل هياكل قباب مرايا صروح شواهد
جراح جسور ملح - دم غرف قتل تتنقل بين شرايين التاريخ
كهوف سميت كواكب مزامير حدود هجرات طرق مدائن
مناير خطب أسوار ذاكرة
وما ذلك الأفق الذي يعرج
كأنه لا يزال يتنفس السراب؟
- هذا كله

أجزاء وفواصل من مقدمات
عليك أن تتذكرها فيما تتقدم نحو عينكاوا.
كنت رأيت في أربيل، القلعة - المتحف، كيف تخلق اليد الكردية
داخل المتحف متحفاً آخر لجمال بري باهر، بسطاً وثياباً
وعباءات وأشياء أخرى فريدة كثيرة ومتنوعة. وكنت رأيت حديقة
سامي عبدالرحمن الذي قتله العنف السلفي.
سلمت فيها على تمثال الجواهري، وعلى نخاته المهاجر سليم
عبدالله. سلمت كذلك على تمثال الشاعرة المؤرخة مستورة
أردلان.

متحفان - واحد في الهواء الطلق،
وأخر حميم،
يتعاقبان في بهاء باذخ.
التقيت في عينكاوا أهل الكنيسة وأهل الكتابة - سرياناً كلدانيين
وأشوريين. وزرت مركزاً للصابئة المندائية.
أدهشني، خصوصاً، فيهم جميعاً أنهم لا يعيشون، ولا يفكرون، لا
يكتبون، كما لو أن شيئاً لم يكن قبلهم. على العكس:

ما مضى،
ما هو حاضر،
ما سيأتي



وحدة تتلأأ في وجوههم،
وفي كلامهم وفي حضورهم.
أربيل - عينكاوا: الاختلاف المؤتلف -
السماء غيبٌ للحلم المشترك،
والأرض بيتٌ ومدينة للعقل والعمل،
للجميع دون تمييز.
وخطر لي أن أتساءل: ماذا حدث، ماذا يحدث؟
هل التاريخ رجلٌ نائم، لم يمت، غير أنه لم يعد قادراً أن
يستيقظ؟
أم هو امرأةٌ أسيرة،
لم يعد يعرف الفجرُ نفسه أن يتحرر من أسرها؟
حيثُ مار أفرام، وكنت قرأتُ أحيقارَ في قوله لابن أخته نادين:
«خيرٌ لك أن يضربك الحكيمُ عصياً كثيرة، من أن يدهنك الجاهلُ
بالطيب.»
«إذا وقف الماء دون أرض، أو طار العصفورُ دون جناح، أو ابيضَ
الغراب كالثلج،
فحينذاك يصير الجاهلُ حكيماً.»
«لا تُطلق الكلمة من فمك حتى ترونها في قلبك، فخيرٌ للرجل أن
يعثر في قلبه، من أن يعثر في لسانه.»
* لماذا بدأت الذاكرة هي نفسها تعلّم القتل؟
لماذا أخذت الذاكرة هي نفسها تمارس القتل؟
* أيّامٌ تحوّم فينا وحولنا
كانها طيورٌ عمياء.
* أفكارٌ -
جراحٌ عميقةٌ في رأس اللغة.
* بلادٌ كمثُل خاتمٍ
في إصبع السماء.
* أفواهٌ مغلقةٌ بسلاسل ليست إلا كلمات.
* المطلقُ مسمارٌ ناتئٌ في جبين النسبي.

لماذا تُغلق أيها المرثي،
أبوابك في وجه أخيك اللامرثي؟
• ماذا يؤكد لك أيتها اللغة، أنه لم يعد في ينابيع المعرفة
ماء يكفي لكي يطفئ نيران الجهل؟
• يوماً ستثار الكلمات من كتاب
حملوها أفكاراً لا تليق بالأبجدية.
خرجنا من عينكاوا، ترافقنا موسيقى طالعة من قداسات يقودها
مار أفرام. قال قداس:
يحدث أن تحب الوردة يداً قدّمت لها الماء،
يحدث أن يقطع الإنسان يداً قدّمت له وردة.
لكن يحدث أيضاً أن يتمرد الباب على العتبة لكي يستقبل ضيفه
الهواء.
وقال قداس:
إذا قدرت أن تتفياً ظلّ الفراشات،
فذلك يعني أنك قادر أن تطير بأجنحتها.
وسأل قداس:
ما اسم هذه الشرارة التي تخرج الآن من تلك الغيمة العربية،
وهل البرق أب لها أو نسيب؟
شرارة تذكر بذلك المساء عندما غسلت جواء نهديتها
بضوء هلال في يومه الأول.

VII. مثاقفة

* من أين لك القدرة المتواصلة على الكتابة في واقع يلتهم القدرة حتى على التخيل؟

— أكتب كما لو أنني أمحو عتبات، وأقتلع أبواباً.

* تعرف أنك تنفر من المكان في هذا الواقع. كيف تسوِّغ مأواك فيه؟

— أقيم فيه كأنني الصاعقة التي ترجّه أبداً.

* قل لنا إذاً أين يطوف عقلك؟

— في الأطراف القصوى، في لُجج ما يختمر ويتكوّن، بعيداً عما يسود ويهيمن.

* وما المكان الذي يُسمّى الوطن؟

— كما يقول الفيلسوف الفرنسي عمانويل ليفيناس:

«الإنسان أكثر قداسةً من الأرض ولو أنها مقدّسة. أمام الهجوم على الإنسان، تبدو هذه الأرض حجارةً وخشباً».

* هل العالم مادة اسمها الخطأ؟

— حتى لو كان ذلك صحيحاً، فمن الممكن تصحيح هذا العالم بالإنسان — هذا الكائن الذي هو نفسه معجون بهذه المادة، وليس هو نفسه إلاّ حفنة من التراب.

في الإنسان سرٌّ فريد هو أنه أبعد من حدود جسمه، وأعلى مما ينجل منه هذا الجسم، خلافاً للشيء المحدود بما هو، وضمن ما هو. بهذا السرّ يصنع الإنسان نفسه، ويصنع الحضارة، ويغيّر العالم.

* إن كانت له كواكب ومدارات،

فلأنها تنحدر من سلالة جراحه.

* لفرحه عبقرية خاصة

لا تبتكر، غالباً، إلاّ الحزن.

* البيت يتهدّم —

يحاول غباره أن ينجو

طائراً على جناحي فراشة.

* الحلم في الشعر ماءً
وفي الفكر وردةً.
* يصعد على سلم الرؤيا محفوفاً بالعتمة،
ويهيئ مغموراً بالضوء.
* باب اللاشيء
مفتوح دائماً على كل شيء.
* سأله الضوء:
«هل تسمع صراخي
عندما أخرج من رحم الشمس؟».
* الذاكرة كتاب مفتوح،
اقرأه إن كنت فرحاً
وأغلقه إن كنت حزيناً.
* قال لأقفاله: أنت المحيطات،
وقال لأمواجها: خذي المفاتيح.
* يكتب كمن يزرع وردة، لغاية واحدة:
أن يلبي رغبة العطر.

VII. أنوثة

كان إيقاع قدميه - عَنَيْتُ التاريخ، يعلو هانئاً حول صَخَبِ
فتياتٍ وفتيانٍ يقتحمون محيطات الرغبة.

زهو آخر أن تفتح الأنوثة الكرديّة بيتها لأختها العربيّة، ولأختها
السريانيّة ولأختها الصابئيّة المندائيّة.

زهو آخر أن تتلاقى أطراف الأنوثة في العراق كما لو أنها بيتٌ
لإيلاف التعدّدية العراقيّة،

ضمّي إليك، إذا، أيتها الأنوثة جسدَ الفجر، وقولي له أن يرسمَ
وجهك على ذهبِ الوقت.

مثلك أفكر في حياةٍ توأخي بين السماء والسرّة، وتجعل من
الأرض سريراً للحب.

مثلك أقف على شرفة الكون حيث يضطرب القمر تحت أهدابك
العاشقة، مثلك، أرى كيف ينسكب الزمن في موسيقى الدمع الذي

لا يزال ينسكب حزناً على شقاء العالم،
وأرى كيف ترسمين للمستقبل شرفاتٍ تتعانق فيها أطراف

الأرض.

وسواء أيتها الأنوثة الكرديّة، فقدت حبيبك في كهوف الأمن
الأحمر، أو في حقول حلبجة أو في قمم الجبال فأنت الوردّة التي

يتنسّقها الشعراء والعشّاق، وأنتِ الجراحُ التي يتسلّحون بها لمحورِ
آلات القتل.

وكنّت رأيتُ في الجامعة قناديلَ ليست إلا وجوه فتياتٍ رأيت
فيها ما يجمع تقاليدَ الماضي في حقائب تُقذفُ إلى الفراغ حيث

لا مكان إلا للفراغ والريح ولذلك الهباء الذكورِيّ: ضلع آدم.

IX. عصف

ثُمَّ بَشَّرَ لَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَ الْبَشَرَ بِدَرَاهِمَ يَسْنُدُ عَمُودَ السَّمَاءِ، أَوْ
بَسِيفٍ يَطِيلُ قَامَةَ الْعَرْشِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ كَأَنَّهُمْ
يَحْرِقُونَ الْكَهْرِبَاءَ بِالْقَشِّ، وَالرَّعْدَ بِالرِّيشَةِ.
أَوْ كَأَنَّهُمْ يَنْتَزِعُونَ مِنْ قَمِيصِ اللَّيْلِ أَزْرَارَهُ الْكُوكِبِيَّةَ فِيمَا يُطْلَقُونَ
الرِّضَاصَ عَلَى النُّجْمَةِ الَّتِي سَمَّاهَا الْفَلَكَيُّ الْعَرَبِيُّ الزُّهْرَةَ.
وَهِيَ هُوَ الْإِحْتِمَالُ كَمَثَلِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ تَزْعَزِعُ بَيْتَ الْوَاقِعِ، وَتُوشِكُ
أَنْ تَهْدِمَهُ. مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِنَيْةِ الرِّيحِ؟ مَنْ يَعْرِفُ مَاذَا تُضْمِرُ
الْعَاصِفَةُ؟

وَتِلْكَ هِيَ بَيْضَةُ الزَّمَنِ مَضْغُوطَةٌ دَائِمًا بَيْنَ الْأَصَابِعِ
وَلَا مَقَرَّ مَنْ أَنْ تَنْكَسِرَ: مَا فِي الْبَيْضَةِ غَيْرُ الْإِرَادَةِ -
الْهَيَاءُ لِلْهَبَاءِ،
وَالْجَذَرُ لِلْجَذْرِ
هَنَا وَهَنَاكَ

فِي خُطُواتٍ عَلَى حَبْلِ الْعَمَلِ - مَمْدُوداً
فَوْقَ هَاوِيَةِ التَّارِيخِ.
مَنْ الصَّدِيقُ فِي هَذَا الْعَصْفِ الَّذِي يَهْزُ الْخَرَائِطُ؟
الصَّخْرَاءُ وَاقِعٌ، وَلَيْسَتْ الصَّخُورُ أَلْفَاظًا، وَهِيَ الْأَيَّامُ رِيَّاحٌ
تَتَلَاقِحُ.
الْمَشْهُدُ حَبْرٌ لِكُلِّ افْتِرَاضٍ وَلِكُلِّ احْتِمَالٍ، -
الْهَدْيُ ثَائِرٌ عَلَى سَيِّدِهِ،
وَلَيْسَتْ الْبُومَةُ الْحَكِيمَةُ عَمِيَاءَ.
بَنَتْ الْعَوَاصِفُ مَنَازِلَ هَدَمَتْهَا. كَتَبَ الْجَسَدُ نَصُوصاً مَرَقَهَا
وَمَا هَذِهِ اللَّهْجَاتُ الَّتِي تَهْرُولُ فِي شَفَاهِ الْأَيَّامِ جَامِحَةً بَيْنَ ثَالُوثِ
الْمَتَوَسِّطِ الْمَحِيطِ الْهَادئِ الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ؟
مَلَائِكَةُ الظَّنِّ تَسِيلُ فِي دَمِ بِلُونِ النُّبُوءَاتِ.
الْعُسْقُ يَمْجِدُ بَرَاءَةَ الْفُصُولِ. الْفُصُولُ تَتَعَثَّرُ بِأَشْلَانِهَا فِيمَا تَمْجِدُ
بَرَاءَةَ الشَّمْسِ.

صقيع أفكارٍ يتغلغل في خطوات الشوارع. العابرون جراحٌ والزمن
شظايا زجاجٍ والعالم سيلوفان.
ربّما يحقّ لي أن أصغي إلى الأنوثة الكرديّة:
«كلّاً لن أفارق الأنوثة العربيّة في بغداد، ولن أحتضن إلا الضوء
وصداقة الضوء».

ربّما يحقّ لي أن أفكر وأرفض أن تكون لي أفكارٌ خواتمٌ
ربّما يحقّ لي أن تظلّ أفكارِي امتحاناً لنفسي وللحياة والواقع.
لكن،

ينهض في مشاع البرازخ تورّم يكسر فرجارَ النّظر ويهجم جالساً
على بَرْدَةٍ حسانٍ ذرّي.

تورّم يتكدّس في طويّة العالم.
هل أغلق السماء؟ هل أسمع، هل أطيع هلوسةَ الجذبِ الملائكي؟
كلّ ملاكٍ دسيّسة، وكلّ لَذّةٍ شَغَشَعَة.

خذني إليك يا جذرَ السّوسن، واسطغ في خلاياي.
اللانهاية تستيقظ في تداخلِ ضوئي مع الأنوثة، وتستبطن
جسدي.

أعطني أيّها الصلصال، يا ترابنا الحيّ، أن أبسّتنَ المسافات،
وأن أخالط عَنَابَ السرائر.
الحضورُ فيك فاتحة البصر،
والغيبُ نرجسُ البصيرة.

X. نيلوفر

بين ١٤-٢٤ نيسان ٢٠٠٩

كان لي داخل الليل في السليمانية وأربيل ليل آخر، ليل كان
يسبقني دائماً -

يقفز من سريري ويخرج من النافذة

لكي يمسك بزئار الشمس،

وهي تنهض من سريرها.

كان لي ضوء قمر خفي يتيح لي أن أقرأ ما كان يكتبه النيلوفر
في بحيرة الظن، وأن أقرأ كل شيء حتى تجاعيد العشب.

وعندما كان الأفق أمامي يرقص احتفاءً بالنباتات وأريجها
الضائع في الحقول، كان هذا القمر يظهر لي بغمَازتين وشامة
على خده الأيسر. إنه القمر الذي يعلم فتنة الكشف.

هكذا كنت أتذكر كيف كانت تمتزج الطبيعة والأرض - الأم
والسماء نفسها بلغة أم تتمرد بها الأنوثة على ضلع آدم لكي
تساوى بآدم نفسه، ولكي تدعو من جديد نوحاً من أجل أن يعيد
النظر في هندسة فلكه، وفي وخل طوفانه.

وكانت الكلمات الأولى التي تخرج من شفاه الأشجار والينابيع
تتسلق الجبال لكي تتنشق الهواء الأول قبل وصولها إلي. وكان
للبشر الذين التقيتهم وجوهٌ يمتزج بعضها بضوء كأنه الدمع،
ويمتزج بعضها بشر كأنه يتطاير من جمر التاريخ.

وكان يُخيل إلي أن ثمة صوتاً يسألني:

أنت، أيها المترحل، العارف لؤلؤ المسافات،

أنت أيها العابر الذي يستمسك بعروة الريح،

قل لي من أين جئت، ومن تكون؟

الوقت إناء ينضح بتاريخ يلتهم نفسه، بأشباح لها قرون من
الزمل وأقدام من الريح.

الوقت قصَب يعطي سكره للذرة، وجذوره للغيوم.

وقت -

قَمَرٌ وشمسٌ في قَرْنِي ثورٍ أسود.

كيف يتغير الوقت؟

عَلَقْتُ نَجْمَةً عَلَى رَأْسِ نَخْلَةٍ تَحْيَةً لوردةٍ تسكن في أبدية العطر.

وسوف أحاول أن أتدبر أمري، في ما تبقى:

أعلنت حرياً لا تنتهي بين اللانهاية والله.

نعم، أيتها اللانهاية،

سأقيم القطيعة مع بشرٍ تتقطع حبالُ أصواتهم بين شفتي

تاريخ كاذب،

ولن أخلق على صورتك إلا شيئاً واحداً:

الشعر.

هكذا يُخَيَّل إليّ الآن، كأُنني أتحوّل إلى جبلٍ تارة، وتارةٍ إلى

بحيرة.

وفيما يبكي صفصافُ الذاكرة حول الانقراض، تهدر حولي، في

كل مكان، مياهُ الولادات.

(السليمانية - أرييل - باريس، ١٤-٣٠ نيسان ٢٠٠٩)

كورتى نونفا / البندقية إلى ماركوروتيللي

-١-

التقيتُ ماركوروتيللي في البندقية، ٨ أكتوبر ٢٠٠٩:
كان عطر النساء يتجمع حوله من جميع الجهات.
عندما افترقنا في ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩، كان العطر نفسه يتناثر
حوله من جميع الجهات.

-٢-

وُضِعَ للماء في البندقية أكثر من قاعدة. غير أن هاجسه الدائم
هو كيف يشدّ عنها. لعل هذا الشدود، إذا حُصِرَ الحديث في
الفضائل، أن يكون الفضيلة الأولى لجزيرة سان سيرفولو (San
Servolo)، حيث يُستضاف الفنانون من جميع أنحاء العالم،
ويجلبو للطبيعة أن تكون بيتاً لِفَتْنَةِ الفنِّ، وَرَحْماً لماء الولادات.
ما عدا ذلك، ذهبَ وإيابَ في قطارات الماء.
في طريقي من المطار إلى سان سيرفولو، في مركبة مائية
سريعة، كانت نوارس على مدى الماء، تسبح في نوع آخر من الفن.
وكانت نوارس أخرى تنقاسم الأعمدة التي تحدّد طريق المراكب:
يأخذ كل منها عرشه وحيداً، كأنه يكتب الموج بأجنحته.

-٣-

(هالك مسرحي في سان سيرفولو)

١. فلاش باك

الشجر يسافر، تاركاً أوراقه حول جذوره، وعند عتبات البيوت.
تبذر الزّيح في كل اتجاه أسناناً غريبة.
وكان القميص الأزرق الذي نسجه الغروب للأفق، يتكوّم في سلّة
الزّيح.



٢. مشهد

مَدَّ المَاءُ للشَّجَرِ حَبْلًا لِكِي يَعْبَرَ عَلَيْهِ نَحْوَ جَزِيرَةٍ أُخْرَى فِي
البَنْدُوقِيَّةِ. لَمْ يَسْتَطِعِ الشَّجَرُ أَنْ يَعْبَرَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَطَعَ الحَبْلَ.

٣. ضوء / ظلّ

لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الضُّوءِ أَنْ يَضَعَ أَنْفَهُ عَلَى زَجَاجِ النُّوَافِذِ. غَيْرَ أَنَّهُ
خَرَقَ اليَوْمَ هَذِهِ الْعَادَةَ.

٤. سحر

لِمَاذَا عِنْدَمَا تَقِفُ يَدُ الْهَوَاءِ فِي سَانِ سِيرْفُولُو تَتَحَرَّكُ قَدَمُ الْمَاءِ؟

٥. مُلْصِق

هِنَا، عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْهَلَالُ - الْقَوْسُ دَائِرَةً، يَكُونُ قَدْ صَعَدَ مِنْ
مَرْتَبَةِ الذِّكُورَةِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْأُنْثَى، وَيَكُونُ مَأْخُذًا بِالْبَحْثِ عَنْ
سُرِيرِ لُطْفَلِهِ الْمُقْبِلِ.

-٤-

نَادِرًا مَا رَأَيْتُ الشَّعْرَ فِي الْبَنْدُوقِيَّةِ يَضْحَكُ مُتَلَأْلَأًا كَمَا رَأَيْتُهُ
مَعَ رَوْتِيلَالِي فِي مَطْعَمِ الْمَاسْكَارُونِ. كَانَ الشَّاعِرُ الصِّينِي يَانْغُ
لِيَانُ قَائِدَ الْأُورْكَسْتَرَا، فِيمَا كَانَتْ إِيْلِينَا لُومِبَارْدِي تُصَفِّقُ بِخَفَرٍ
وَتَبْتَسِمُ كَأَنَّهَا آتِيَةٌ مِنْ جَنَّةٍ دَانْتِي.

فِي مَطْعَمِ الْمَاسْكَارُونِ، تَتَقَاطَعُ عَلَى الْمَوَائِدِ فِي قَوَارِيرِ الْخَمْرِ،
فِي الْخَبْزِ، فِي صَحُونِ الطَّعَامِ وَأَدَوَاتِهِ طَرَقٌ يَحْمِلُهَا رَوَادُهُ تَحْتَ
ثِيَابِهِمْ، غَالِبًا، وَيَبِينُ أَصَابِعُهُمْ، أحيانًا.

وَفِيمَا نَرَى الزَّمْنَ يَخْوُضُ فِي الصَّحُونِ الَّتِي ابْتَكَرَهَا الْخَزَافُونَ
خَصِيصًا لِأَفْخَازِ الْمَعْكُونَةِ النَّحِيلَةِ، أَوْ لِأَثْدَانِهَا الْمَدُورَةِ، نَرَى
إِلَى جَوَارِهِ نِسَاءً وَرِجَالًا يَعُومُونَ فِي مَوْجِ الْأَيَّامِ.

وَرَأَيْتُ امْرَأَةً يَشْرِبُهَا النَّبِيذُ جُرْعَةً جُرْعَةً.

وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ هَازِيًا: حَتَّى لَوْ صُرْتُ شَجَرَةً، فَلَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَفْهَمَ
الْغُصْنَ. كُلَّ لَحْظَةٍ، يُوَلَّدُ لِلْهَوَاءِ فِي كُلِّ غُصْنٍ طِفْلٌ أَخْضَرُ.

موجات الكتر ومغناطيسية

١. قطب كهربائي

أعمل دائماً في البندقية مع الصورة، وأنزوي للتأمل، في كهف المعنى.

٢. نكتيريا

المؤسف هنا في البندقية أن الخبر لا يميز في الكتابة، بين الجمال والقبح، وبين الصواب والخطأ.

٣. سديم

منذ فترة، لم أر البندقية. هكذا، عندما التقيتها أمس في فراشي، حبات جسدها في جسدها.

٤. جرثومة

هنا، في ساحة سان ماركو، تفرط اللانهاية في سرعتها.

٥. هاجس

عطشت، وكل ما حولي ماء. لكن، لماذا علي مع ذلك، أن أستجير بالزمل؟

عندما دخلت ساحة سان ماركو، هذه المرة، تذكرت الشاعر شيلي. تذكرت خصوصاً بيانه في السنة ١٨١١: «ضرورة الإلحاد». بيان سبب له الطرد من جامعة أكسفورد.

(للتذكير: مات شيلي غرقاً في خليج ليريتشي، في الأرض نفسها التي تنتمي إليها البندقية. وأحرق جثمانه بين يدي الشاعر بايرون).

أقول ما أقول، فيما يُخيّل إلي أن العرق يتصبّب من جدران البندقية، وأن من الممكن دائماً أن نخرج من بيت القاعدة إلى

فضاء المصادفات.

هل أترك، إذاً، لجسمي أن يندرج في آلة البندقية، لكي أفهمها حقاً، أو لكي أراها حقاً؟ أخاف أن أشرب دمعي ظناً مني أنه الخمرة التي يعتقها ديونيزوس.

حقاً، أكاد الآن أن أضطجع مضطرباً بين أحضان البندقية، وأن أسأل النساء اللاتي يحطن بماركو روتيللي: هل في جسد المرأة الإيطالية شغراً آخر لا يُحدّد بالشعر؟

في كل زاوية، في ساحة سان ماركو، سارق بارع.

والعجب أنه لا يسرق الأرض، إلا باسم السماء.

هل أقول إذاً: المجاز، لا الواقع، هو فضاء الألوهة؟

وسوف أكرر على سمع سان ماركو:

يبدو أنه لم يبق من السماوات السبع إلا ثلاث:

واحدة انطفأت شموعها ولم تعد تعرف كيف تشعلها، واحدة

نذرت نفسها لملائكة بلا أجنحة،

والثالثة آخذة في احتضار يبدو أنه سيكون طويلاً وصعباً.

-٧-

خُددُ بينها الغُدة الصنوبرية

١. ترميم

التراب مرآة للسماء. الغيم مرآة للتراب.

قولوا، إذاً، عن النجوم إنها سلالِمٌ لصعود الليل نحو سرير

الضوء.

٢. قوس

كل ليلة، قبيل أن يذهب الشاعر إلى النوم، يدعو وسادته لكي

تسبقه، ولكي تخمض أهدابها عندما يدخل تحت الغطاء.

٣. مَصْهر

الكلمات معادنٌ تُصهر في حناجر النبوات.

٤- مجزة

يا لهذا العالم! شريط إلكتروني تُعالجه أيدٍ مكسورة.
وكل يصرخ: لا أريد بطاقة هوية. أريد دفتر إعاشة.

٥- هولوغرافيا

كيف تنفعل عينا الشاعر برؤية فينيسيا، وعيناها زورقان
إلكترونيان؟ والناس، زرافاتٍ ووحداناً، يستحمّون في مائها
الأسود؟

كان جدّها ذهباً، وهو الآن يصيرُ ورقاً مُقوّى.
وكان الشاعر قد فتّش صناديقها وثيابها القديمة، فلم يجد إلا
خيوط العناكب. مع ذلك، لاتزال أشرعتها الغابرة تتأرجح في
موج الحاضر.
هل ينبغي التأسيس لحياة جديدة: النّوم على الماء، والعمل تحت
الأرض؟

ولا حيلة للشاعر في هذا الهذيان. لقد انتهى الأمر:
سبق أن تشرّبت خمره الكيمياء أعضاءه كلّها.

-٨-

في بداية الرّزّاق الصّغير كورتي نونا Corte Nova، على
الرّأوية، دكان - مطعم صغير، يمتلئ بصورتشي غيفارا.
يتملئ كذلك بشعارات شيوعية: النجمة الحمراء، المنجل، المطرقة.
إنه مقر الحزب الشيوعي في البندقية.

مفاجأة حقاً - لي، ولصديقي الشيوعي السابق، فوزي الدّليمي،
الرّسام الشاعر. عيش قديم لنورس شيخ. حَيّينا الجالسين فيه،
وردوا التحية بغبطة وبشيء من الاستغراب. مررنا في الرّزّاق
تحت ألوان بيضاء زرقاء حمراء رمادية لم تكن إلا ثياباً منشورة
على جبال معدودة كالجسور، تربط بين ضفتي الرّزّاق. وقلنا:
طوبى للفقراء: ينشرون غسيلهم تحت أهداب الشمس، ويأتمنون
عليها الرّيح.



عاملٌ (مغربي، على الأرجح) يحمل على كتفه اليسرى ملاكَ
الحَيَزة. تلى كتفه اليمنى يحمل شُرْطِيَّ الهجرة، كأنه يُدَنِّدُن
هامساً في أذن الوقت: ساعدني لكي أغرس مِئذنةً في رأس
الموج.

وَرَأَقُ (بلغاريّ مسلمٌ على الأرجح)، يحاول عبثاً أن يرسمَ البندقيةَ
في شكل بندقيةٍ بلا رصاص، أو في شكل عمامةٍ تشبه حَبَّةَ
البندق، وتذكّر برؤوس السلاطين.

ومن أيّ سماءٍ، تنحدر تلك المرأة (الرومانية على الأرجح) والتي
يرقد طفلها فوق بلاطٍ أسود، وتحرصُ أن تدير وجهه في اتجاه
كنيسة سان ماركو؟

ومن أيّ معسكرٍ، يجيء هذا (الصربيّ على الأرجح)، حاملاً جسمه
في سفينةٍ من الوشم؟

وما رأيك، أنت أيها الأميركي: أنت يا مَنْ تعبرُ في عربةٍ من
الجينز والعلكة وما لا يُسمّى، مديراً سرّياً لجمعية الرفق بالخُبراء
والمستشارين، التي يؤسّسها حواريو الأمم المتحدة المهاجرة؟

المهاجرون؟ جميعاً يَجْهرون بصوتٍ واحد: نحن في حاجةٍ إلى
أبوابٍ ترفض أن تنغلقَ حتّى عندما تُرْجّها الأعاصير.

وتلك هي شوارع البندقية، تقلب عقاربَ الوقت في جيوب البشر،
وفي خطواتهم. شوارعٌ توسّع بأقدامها حدودَ القديسين، وتضيّق
برؤوسها حدود النبوات.

— ٩ —

تخصيب

١. استطلاع

لكلّ فضلٍ ذئابه. ولماذا لاتزال يدك، أيتها السماء، ممسكةً بهذا
القلم الذي لا حبرَ فيه، والذي فقدَ خاصيةَ الكتابة؟

٢. قطع/وَضَل

صار الليلُ وجهاً. صار النهارُ قدمين. صارت النافذة سياجاً.
ونفدَ عطر الورد: لم تعد إلا أنيناً.

٣. تَنَفَّسْ

بلى، ربيت على القول: «نحن».
من الآن فصاعداً، سأقول: «أنا».
الجمع وَرَقٌ، والمفرد هو الكتابة.

٤. تَلَوَّثْ

سَكِينٌ ملوثة جرحت، وغابت.

٥. حَبِّ

أحبّ هذه الوردة التي تذبل في أحضان النافذة.

-١٠-

استيقظتُ صباحَ العاشر من أكتوبر، باكراً، استعداداً للعودة إلى
باريس. لم أعرف أن أقرأ في جريدة الصباح إلا أسطراً، بضَعِ
كلمات هذه خلاصتها:

مطعمٌ يجلسُ في أعلى الصّفحة الأولى،

يقرأ أخبارَ مطعمٍ آخر

في أسفل الصّفحة.

أذهبُ يا ظلي في غرفة نومي ولا تَعُدُّ.

أعترف لك: لا أستطيع أن أفعلَ شيئاً للوقت الذي يَنفُرس في جسد

البندقية كمثّل جرح لا يتوقف نزيفه.

قلتُ: ألجأ إلى الغيم الذي كان يتمدّد ويتمزّق. وكانَ قد صَحَّ لي،

منذُ أيامي الباكِرة، أن الغيم لا يُمطر إلا بِقَدَرٍ ما يفكّر في أحوال

البشر الذين يُولدون في الماء، ويجهلون السّباحة. هكذا تلبّسني

ضبابُ الحقيقة، وأخذَ يُطرني همساً: لَن تتعلّم في البندقية إلا

ما سبق أن تعلّمته في المدن الأوروبية الأخرى.

فيتيسيا - أورويا: وجهٌ يقرأ، لا يقرأ إلا نفسه.

بالهذا الهيكل لا يؤمنُ بالورود التي لا أضرّاس لها.

فيتيسيا - أورويا،

بالهذا الوجود الكروي الذي يدحرجه النّفط.



قلت: أكتب رسالة إلى ماركو روتيللي،
ماركو،

هل سمعت مثلي تلك النجمة في سان سيرفولو،
تقول حائرة: لماذا لا أعرف كيف أقرأ أبجدية فينيسيا؟
وما هذه الفراشات التي ترتطم بعمارات شبه عمياء؟ ومن أولئك
الذين يكدسون المعدن ويسمونه تزيافاً؟ ومن هؤلاء الذين
يقولون: العالم قزء، ولا فرق بين غراب ونملة إلا بالاسم، وما هم
الملائكة والشياطين شهود يرقصون في جبة واحدة؟
ماركو،

يسمونها الغرياء. كأن الأرض لم تكن، مرة، غريبة.
كأن الفجر لم يكن مرة طريقاً إلى الليل، أو كأن الرماد لا يعرف
النار.

غرياء - كرز يغني متدحرجاً من أعالي كنيسة سان ماركو،
تصغي إليه الجدران والحوانيت. تصغي إليه كذلك أقدام العابرين،
ويصغي إعلان ضخم لبيع الأخذية والسراويل.
ساحة سان ماركو،

الفجر يتنفس في سرير ماء أسود. الأفق يطير بأجنحة شطآن
سوداء. وما هي الأيام تنعقد خيوطاً من عناكب سوداء في سقف
العالم.

المراكب آخر من يعرف،
والبحارة آخر من يعترف.

ماركو،
إنها اللانهاية تتعري أمامنا في خطابات لم تكتمل بعد
أشكالها.

إذا، أقول لك ما أقوله لنفسه:

تَقَمِّصُ الوقت،

واقترح قطارات الماء،

لكي تعرف

كيف تحيا، وكيف تموتُ
متموجاً.
(البندقية - بيروت، أكتوبر ٢٠٠٩)

غِيُومٌ تُمَطِّرُ حَبْرًا صِينِيًّا



غيومٌ تمطرُ حبراً صينياً (زيارة إلى بيجنغ وشنغهاي)

-١-

(١٣ مارس/ آذار، الجمعة، ٢٠٠٩)

حوالي السَّاعة الثانية عشرة ظهراً، وصلت إلى بيجنغ، آتياً من باريس. كان ينتظرنني في المطار، الدكتور شوي تشينغ قوه، الأستاذ في جامعة الدراسات الأجنبية في بيجنغ، والباحث في الأدب العربي، والمترجم الذي وضع شعري ضيفاً بين أحضان لغته الصينية. هذا المضيف الصيني الذي يُسمِّي نفسه باسم عربيٍّ هو بسَّام، رفيع الثقافة، يتكلَّم العربية بطلاقة، كمثِّل أيَّ أستاذ متميِّز للأدب العربيِّ، في أيَّة جامعة عربيَّة.

رافقني إلى حيث سأقيم في «فندق الصداقة». واقترح عليَّ ما قبلته فوراً: الرَّاحة، والبقاء في الفندق، إلى صبيحة الغد. من المطار إلى الفندق، واكبَّتنا على جانبي الطَّرِيق أشجارٌ عاريةٌ إلا من أعشاش الطُّيور مشهدٌ أعادَ إلى ذاكرتي أشجارَ القرية التي وُلِدْتُ فيها، وأعشاشها.

الفندق في الحيِّ الغربيِّ من بيجنغ. حيِّ الجامعات والمدارس والتَّقْنِيَّات. الطَّقْسُ مائلٌ إلى البرودة، تتنقَّل في خطوات ريحها قناديلُ منطفئة لأباطرةٍ يبدوون كأنهم لم يموتوا إلا في الكتب. الفندق جميلٌ كمثِّل كتاب قديم من الصُّور. زخارفُ وألوانُ أحسست كأنَّها تتصادى مع زخارف الأندلس وألوانها. إحساسٌ لا أعرف كيف أفسِّره.

تجلس معي الدَّقائِق في مقهى الفندق كأنها خيولٌ أضناها التَّرحُّل. خيولٌ نسيت حتَّى الحَمَّمة.

تُحدِّقُ فيَّ الفتاةُ - الدُّمِيَّة الجميلة، عاملة المقهى. أجلس على آخر كرسيٍّ في آخر زاوية أقرأ وأكتب وأشعر كلِّما نظرت إليها

كأنها تقول في ذات نفسها: مجنونٌ غريبٌ آخر.
وردةٌ في أصيص زجاجي صغير على الطاولة، تمدّ يدها إليّ ولا
أراها. كان نظري يلاحق وردةً غائبةً في فضاء غائب.
وكان المقهى قد بدأ يفرك حاجبيه، كمن يستيقظ باكراً ولا يزال
في حاجة إلى النوم.

أنتِ المرأة الغائبة هذه التي ترافقني، من أنتِ؟
أمامك ثمانون سنة - أنا. وانظري إلى سكين التاريخ كيف
تحرّرها وتنغرس فيها، هل تسمعين صدى ضرباتها؟
حاولي أن تخترقي تلك الغيمة التي تغطيها. حاولي أن تقرني
الخطوط التي رسمها بزُد الأيام وهو يتدحرج عليها.
أمامك ثمانون سنة - أنا.

ماذا أقول؟ حلم يقظة ليس إلا نوعاً من النوم. عليّ، إذاً، أن أستيقظَ
حقاً، -

أن أحقن كلماتي بنسخ التحولات لكي أحسن الكلام على الصّين،
أن أصنع من ذلك المعبد الأرضي تيانامين (Tian ammen)
مرأةً تتمرأ فيها أسلتي، وأن أصنع من الأسئلة مَسرحاً تنعزضُ
عليه شمس المعنى،

أن أفتحص برفقة صديقي الدكتور بسام، المعجم الذي كتبتَه
الحياة، وأتفقد فيه الكلمات التي جفّت ضروعها، وتلك التي لم
تثبت أنداؤها بعد.

وكان في لغتي ما يقول:
عميقاً، ينزل رعدُ التاريخ في جسد المادّة.

أ- كرسى السَّماءِ
لا يَسعُ حتّى حصاةٌ يُدحرجها طفلٌ يبكي.
ب - غيمة اللّغة:

سِرّبٌ من الأجنحة تُمطر حَبراً صينياً.
ميزانُ المعنى:

كفّة للكلام، وكفّة للسؤال.

ج - نجمة تنزل وحيدة على سَلَم الفضاء

أظنّها تحمل بريداً أنتظره.
د - لا تموت من الشيخوخة،
تموت ملأً من أبدية الطفولة.
هـ - «لا شيء يموت»،
يقول لك الموت نفسه.
الموت هو الطين
الذي تُجبلُ منه أعظم الأكاذيب.

II (١٤ مارس، السبت)

قلتُ في ذات نفسي، متذكراً زيارتي الأولى لبيجنغ، سنة ١٩٨٠،
خيراً أن أبدأ زيارتي الثانية بروية سوق شعبية.
أرى الناس في حياتهم العملية اليومية، وأرى تنوعات هذه
الحياة.

وقلت ذلك لزينب.

ابتسمت وقالت: حسناً.

صعدنا في سيارتها الجميلة إنفينيتي، وكانت ترافقها تلميذتها
أميرة، لرؤية سوق شعبية نموذجية.

تحمل زينب شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، وهي أستاذة في
قسم اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية. مسلمة، متزوجة
من طبيب صيني، أخصائي كبير في أمراض القلب، واسع الشهرة.
وهذا الاسم اختياريّ منها، اسمٌ مستعار. اسمها الحقيقي الصيني
هو «شياو كين وو».

حقاً،

مدخل مطعم بسيط. مخزن صغير لبيع منسوجات حريرية
وقطنية.

مفرق شارع تتزاحم فيه، بنظام ودقة، سيارات من كل نوع.
سقف قرميدي. عمارة حديثة زجاجية. أبراج.
أشجار لا أعرف أسماءها. فتيات تحاول كل منهن أن تجذبك،
بوصفك أجنبياً، إلى دخول حانوتها. لؤلؤ وجاّد وأحجار تكاد أن

تَكُونُ كَرِيمَةً. تَمَاضِيلُ: تَنْيُنُ هُنَا،
عَنْقَاءُ هُنَاكَ...

حَقًّا، هَذِهِ كُلُّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ فَاتِحَةً لِكِتَابٍ فِي الدَّهْشَةِ، أَوْ
مَقْدَمَةً لِدِرَاسَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا يَنْتَهِي وَمَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ.
قُلْتُ لِزَيْنَبٍ ضَاحِكًا: تَتَعَبُ قَدَمَايَ، عَادَةً، عِنْدَمَا أُسِيرُ مُحَازِيًا
لِلسَّمَاءِ. وَلَا تَتَعَبَانِ أَبَدًا عِنْدَمَا أُسِيرُ بَيْنَ الْبَشَرِ الْأَكْثَرِ التَّصَاقُفَ
بِالْأَرْضِ.

قُلْتُ ذَلِكَ، جَوَابًا عَنْ سَوَالِهَا: هَلْ تَعَبْتُ؟
وَكُنْتُ قَدْ سَأَلْتَنِي وَأَجَبْتُهَا: صَحِيحٌ كَمَا تَقُولِينَ.
لَمْ يُقَدِّرْ أَيُّ شَيْءٍ لِلْإِنْسَانِ. الْإِنْسَانُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ لِكُلِّ
شَيْءٍ. أَوَّلًا، وَآلِي آخِرِ اللُّغَةِ.
وَلَا أَفَاجَأُ، مِثْلَكَ، أَنْ تَتَجَيَّشَ الطِّحَالِبُ ضَدَّ الْمَوْجِ.
أَوْ أَنْ يَتَبَلَّلَ قَمِيصُ الْحَرِيَّةِ بِمَاءِ التَّبَارِيحِ. دَائِمًا، دَائِمًا.
وَأَتَطَرَّى - تِلْكَ الْمَدَارَاتُ الَّتِي أُجِيءُ مِنْهَا. يُؤَكَّلُ فِيهَا الْمَاضِي
مُهَيَّرَتًا. وَيُؤَكَّلُ الْمُسْتَقْبَلُ نَيَّتًا. وَكُلُّ مَدِينَةٍ كَبِشٌ يُذْبَحُ. وَكُلُّ ذَابِحٍ
يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ مَلَآكٌ.
لَا أَحَدٌ فِي مَكَانِهِ غَيْرُ عُنَّةِ الْقَتْلِ.
وَكُلُّ نَبْعٍ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِي مَائِهِ ضَفْدَعٌ بِشَعٍّ، وَرَبِّمَا خَمْسَةٌ أَوْ
عَشْرَةٌ.

هَبْنِي يَا رِيَّاحُ كُونْفُوشِيوسَ، وَأَنْتِ كَذَلِكَ هُبِّي أَيْتَهَا الرِّوَانِحُ
الْبُودِيَّةَ وَالطَّوَاوِيَّةَ. وَقَوْلِي لِكُلِّ مَخْسُوسٍ أَنْ يَفْتَحَ لَنَا ذِرَاعِيهِ.
بَيْتُ زَيْنَبٍ يَفْتَحُ صَدْرَهُ لِلْغَدَاءِ. بَيْتُ جَمِيلٍ غَنِيٌّ.
اسْتَقْبَلْنَا أَبَوَاهَا وَطِفْلَهَا. لَا أَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ. قَالَتْ: «أَحْلُمُ بِثَلَاثَةِ
أَبْنَاءَ. لَكِنْ، لَا يَحِقُّ لِرُجُوعِي أَنْ يَنْجِبَ إِلَّا وَاحِدًا. وَفَقًّا لِلْقَانُونِ».
وَقَالَتْ: «ذَهَبَ أَبَوَايَ، فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى الْحَجِّ. وَهُمَا سَعِيدَانِ
بِذَلِكَ، جَدًّا».

- إِذَا، قَامَا بِرَجْمِ الشَّيْطَانِ.
- «نَعَمْ»، أَجَابَتْ ضَاحِكَةً.
كَانَتْ مَائِدَةُ الْغَدَاءِ بَانِخَةً.



وكان أبواها كمثل وردتين: السَّاقُ في بيجنغ، والبرعمُ في مكة.

*

اليوم نفسه، مساءً، في منزل الصديق الدكتور بسام، مع زملائه في الجامعة. جميعاً، اتخذوا أسماء عربية، تحبباً وتيمناً: صاعد (تشونغ جي كون)، رئيس جمعية بحوث الأدب العربي في الصين.

جلال (اي هونغ)، باحث في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وخبير في دراسة جبران خليل جبران. نزية (لي تشين)، باحثة في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وخبيرة في دراسة نجيب محفوظ، والأدب الصوفي.

ليلى (تشي مين مين)، أستاذة في جامعة الدراسات الأجنبية، ومتخصصة في دراسة الأدب العربي القديم. زاخرة (تشانغ هونغ يي)، أستاذة في المعهد الثاني للغات الأجنبية في بيجنغ، ومتخصصة في دراسة الشعر العربي الحديث.

تشي بوهاو، باحث في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وخبير في دراسة الأدب العربي القديم. إضافة إلى عمّار، وأمل، وهادية، ودادو، وسعاد، وشريف، وزينب وزوجها.

بعضهم يعرفون أن يرونا أعمق مما يرى بعضنا. ويبدو أنهم يواصلون السير معنا، بحماسة، لكن بيقظة. أ- تعبر الساعات كمثل قطع غزلان يرقى أعشاباً سرية في غابة الوقت. ب - الوقت هو كذلك يغني أو يبكي، لا بشفتيه وحدهما، بل بشرايينه كلها.

ج - هل الحياة هي، حقاً، الكتاب؟

هل الكتاب هو، حقاً، الحياة؟

هل الحياة شيء والكتاب شيء آخر، وشتان ما بينهما؟

أَجِبْ، أَجِبْ يا كونفوشيوس.

د- لا تتوقّف، أيّها الشاعر،

عن ابتكار المغامرة،

خصوصاً تلك التي تزلزل الطّريقَ والأثر.

هـ - أفقُ الإنسان

أن يتحوّل هو نفسه، دائماً،

إلى مفاجأةٍ لنفسه داخل نفسه.

III (١٥ مارس، الأحد)

القصر الصّيفي. كنت رأيته في زيارتي الأولى ١٩٨٠. كما هو،

لم يتغيّر شيءٌ. قديمٌ راسخ. البحيرةُ التي أمرت بصنعها تلك

الإمبراطورة الحالمة، تحلم هي كذلك في إخاء كاملٍ مع الوقت.

زوّارٌ، معظمهم صينيون، يسوِّحون حولها، أو يسبحون فيها

كأنهم يتموِّجون، كلّ في ماءٍ أحلامه.

الغداء في مطعم الفندق. وحدي.

المطعمُ ألوانٌ برتقالٍ وقرميد. الفتيات العاملات ألوانٌ سوادٍ

وحمرة أوركسترا ألوانٍ وحركات وأصوات لطفٌ إنسانيّ غامرٌ

يقود هذه الأوركسترا لطفٌ نسائيّ.

إن كنت أشعر أن إقامتي في بيجنغ غبطةٌ فلأنّ أيامي فيها تمرّ

معطرةً بجذر الأنوثة، ولا أعني المرأة وحدها، بل الطّبيعة أيضاً.

هل آسف لأنّ طعاماً آخر يجيء من جذر آخر هو الآلة يهيمن على

بعض الشّوارع والمجتمعات التجارية آلةٌ إله أخرى.

أوه! علينا أن نحذّر من وقتٍ يجيء لا يكون فيه أيُّ متّسعٍ إلاّ لآلةٍ

أو إله.

أصعد إلى غرفتي تأخذني بين ذراعيها كما لو أنّها تأخذ طفلاً

مرهقاً تأخذني أحلام اليقظة -

نازك، أيتها الغالية البعيدة، يجب أن تتحوّل إلى نور.

نورك، أيتها الغالية البعيدة، يجب أن يتحوّل إلى نار.

قولي، كيف أمكنك أن تحتضني بذراعيك المؤتلفتين تلك العوالم

المختلفة؟ هل تشعرين أنكِ تخسرين، وما هذه الخسارة؟
هل تشعرين أنكِ تريحين وما هذا الريح؟
«للأفق غيمٌ لا يخاف إلا من لازورده» تخيلت أنها قالت.
«للأزورد أفقٌ لا يخاف إلا من غيمة» تخيلت أنها تقول.
تأخذني أحلام اليقظة -

وما هي أفكاري تستيقظُ تفتح حدائقها لزوارٍ لم ترهم من قبل.
ستنامُ فيها هذه الليلة أشباح وأطياف من عصرٍ آخر. ألمح هؤلاء
الزوار، أو كأنني ألمحهم يتوافدون في قواربٍ تمخر ضبابَ
العالم، وأرى نوارس ترفرف حولهم آتية من ضفافٍ لا تزال أملُ
في أن تسمحَ لمرساتي أن تصل إليها.
تأخذني أحلام اليقظة -

مهلاً، أيها الرفيق كونفوشيوس،
لماذا تذكرني بهاملت، هذه اللحظة؟
حقاً، لا بد من أن ننقب جدران السماء.
تأخذني أحلام اليقظة -

هل سيكون العصر المقبل قيثاراً صينياً؟
ألن تخافي أيتها الموسيقى من برودة الكون؟
العصر؟ خيال عابر في عيني تلك البحيرة - إيّاها،
والأرض تدور، لكن على سرّة المعنى.
كلاً، لا أقدر أن أنام
للهواجس شفرة تحرّ أعضائي.

*

جامعة الدراسات الأجنبية. قاعة مليئة.
لقاء للكلام على الشعر. لقاء نقش النهار وجهه فيه.
تحدث الجميع بحب كأنه الشعر. كانت كل مستمعة تفتح صدرها
لما تُصغي إليه كأنها تفتحه لطفلها البكر. كان كل مستمع يودُّ
أن يُقيم في موسيقى اللغة العربية (أربع وعشرون جامعة في
الصين تُدرّس فيها اللغة العربية الآن).
أنظرُ إلى الوجوه في القاعة وأدقّق وأستقرئ يبدو كل وجه كأنَّ

قنديلاً يشع في كلّ ثنيةٍ من تقاطيعه.

ليلاً - اليوم نفسه، لقاءً مع الناشر، في عشاء تكريمي شعراء وصحافيون أكمام نسائية تخطط بعطرها ولطفها فضاء المائدة.

كل سرير نرّد في يد الحب
كان يانغ ليان، الشاعر، قد ذهب إلى حظه
وكانت كل امرأة تنهياً لكي تذهب إلى سرير حبها.
أ- الجسم هو أولاً، العظم.
الجسد هو، أولاً الحب.

والبقية لفراغ اسمه السماء.
ب - الحقيقة هي أن تُعاش.
ج - ثوبٌ تتين للإمبراطور،
ثوب غنقاء للإمبراطورة.
د - الغرب؟ «أهو طعمٌ مسموم»؟ يسألني الهواء.
هـ - عطرٌ يتقطر حراً
من زهور عاتمة في بحيرات الصداقة.

IV (١٦ آذار، الاثنتين)

غداء تقيمه رئاسة الجامعة ممثلة بنائبة الرئيس السيدة يانغ
يان هونغ. غداء جامعي. تحدثنا كما لو أننا نخاف من هاري
بوتر، ثقافياً، كما نخاف حزيماً، من الصواريخ والقنابل. داء
النمذجة والتماثل. رعب أن يكون المراهق في بيجنغ كمثّل
المراهق في لندن.

وتحدثنا، كما لو أننا نقول: في الفلسفة الطاوية يبدو الوجود
صديقاً قريباً للإنسان كأنه نوعٌ من الجواب. أمّا في الفلسفة
الغربية فيبدو أن الوجود «بعيد»، أعني أنه سؤال.

بعد الغداء لقاءً مع بضعة صحفيين في مقهى على «بحيرة



المعابد العشرة». أسئلة تؤكد أنهم ليسوا على معرفة بالشعر العربي وحده، بل أيضاً بالأحوال السياسية والثقافية العربية. مقاهٍ ومطاعم عديدة على البحيرة. إضافة إلى حوانيت صغيرة، تُعنى بإرضاء أو بتلبية فضول الأجانب الذين يزورون بيجنج للسياسة. وهم يزدادون كثرة يوماً بعد يوم.

الحَيَّ كُلُّهُ قَدِيمٌ. تشعر، فيما تتجول فيه، أَنَّ لَدَى سَاكِنِيهِ شَغْفاً بِالْحَيَاةِ وَبِالْآخِرِ. يجعل من الحياة اليومية هيكلًا في الهواء الطَّلَق. بيوتٌ وَأَرْقَةٌ يسيلُ منها عَرَقُ الذَّاكِرَةِ، وينبض فيها قَلْبُ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ.

تَشْعُرُ هُنَا كَأَنَّ الْمَوْتَى لَا يَمُوتُونَ، كَأَنَّهُمْ يَتَوَهَّجُونَ فِي الشَّمْسِ الَّتِي تَسْطَعُ، وَالرَّيْحِ الَّتِي تَهْبُ، وَالْمَاءِ الَّذِي يَجْرِي. وَتَسْتَطِيعُ، بِنَشْوَةِ مَا، أَنْ تَشَاهِدَ الْقَدِيمَ فِي جَبَّةِ الْحَاضِرِ الْحَيِّ... وَمَا أَتَدْرُ النَّوَافِذَ الْمَغْلُقَةَ عَلَى آفَاقِ مَا مَضَى، أَوْ لِنَقْلٍ: مَا أَكْثَرَ النِّوَافِذَ الْمَفْتُوحَةَ عَلَى مَا يَأْتِي.

وَلَمَّا كَانَ الْمَاضِي هُنَا ظِلًّا يَرْتَسِمُ عَلَى قَرَارِ لَيْسَ إِلَّا أَيْدِيًا تَعْمَلُ، وَعُقُولًا تَفَكِّرُ وَتَخْطِطُ، فَمِثْلُكَ تَشْعُرُ أَنَّ فِيهِ أَشْبَاحًا ظَلَالًا وَأَطْيَافًا تَطُوفُ حَوْلَكَ لَا لَكَي تَشْدَكَ إِلَى مَنَازِلِهَا الْمَاضِيَةِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ لَكَي تَوْشِشُكَ أَنَّهَا مَأْخُودَةٌ بِأَيَّامِكَ أَنْتَ، وَأَنَّهَا تَرْغَبُ فِي أَنْ تَغِيْشَ مَعَكَ، وَتَشَارَكَ الْحَيَاةَ وَالْفِكْرَ وَالْعَمَلَ. كَأَنَّ الْمَاضِي نَفْسَهُ يَخْرُجُ مِنْ ذَاتِهِ، شَوْقًا إِلَى أَنْ يُصْبِحَ حَاضِرًا.

وَلَيْسَ صِخْبُ الشُّوَارِعِ وَالْأَرْقَةِ إِلَّا هَدِيرُ حَيَاةٍ تَتَمَوَّجُ آتِيَةً مِنْ يَنَابِيعٍ لَا تَعْرِفُ. أَنْ تَمَيِّزَ فِيهَا بَيْنَ مَائِهَا الْقَدِيمِ وَمَائِهَا الْجَدِيدِ. رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، أَطْفَالٌ وَشَبَابٌ يَخْرُجُونَ مِنْ هَذِهِ الْيَنَابِيعِ، يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، وَيَبْتَسِمُونَ لَكَ وَتَشْعُرُ كَأَنَّهُمْ يَحْبُونَ أَنْ يَرِافِقُوكَ فِي سَيْرِكَ، كَأَنَّمَا الْجَدُودُ بَيْنَ الْعَالَمِ الْغَائِبِ وَالْعَالَمِ الْحَاضِرِ، تَتَحَوَّلُ إِلَى سَتَائِرٍ رَقِيْقَةٍ، حَمِيْمَةٍ، وَشَفَافَةٍ.

عِشَاءً يَقِيْمُهُ الشُّعْرَاءُ أَصْدِقَاءُ الشَّاعِرِ الصَّدِيقِ (المقيم في لندن)
يَانِغَ لِيَانُ، وَالْحَاضِرُ فِي بِيْجِنْجِ:

هَانْ زِيوكونغ، شين واومنج، هيسها وجون، شن شانغ فنج، نانغ كي، زاوسي، مانومو، تانغ كسيادو، نرين ييلنج، كسوشيتغاو. نبيذ أصفر على المائدة. النبيذ الأعلى في الصين. من مدينة سيوتشن، مسقط رأس الشاعر والكاتب الكبير المشهور لوتشين. نبيذ تقول إنه نبوءة نواسية. تقول إنه الشجر الآخر. اشرك، لا تخف.

شُفِرْتُ في هذا العشاء - الشعر أن للجنين الذي يحمله الفجر، للطفولة التي ينتظرها المساء، أعصاباً تتكون في أحشائي، يُغريني هنا خصوصاً عَصَبُ الرياضيات، راسماً مَتَاهَاتِ اللذة. يُغريني عَصَبُ الضَّرَبَاتِ السُّحْرِيَّةِ التي تنزل من عصا ذلك النبيذ الأصفر، وتلك التي كانت يد الشعر تُلَوِّحُ بها في قضاء الجسد. كان القضاء تلك العشيّة يلبس رماده السُّتَانِي الأخير. أحسست، فيما أودّع الشعراء أنْ بيجنغ تنشطر في مُخَيَّلَتِي: شَطْرًا للحب، وشَطْرًا للشعر.

بعد هذا العشاء، نتابع السهر - يانغ ليان والدكتور يسام والدكتور عَيَّان وأنا، في بيت الخطاط الرسَّام الكبير المشهور زنج لاي ده. البيت كله، على اتساعه الغني المُتَرَفِّ، الأنيق، حَوْلَ إلى ما يشبه المَرْسَم - المُتَحَف، لأعماله، ولأعمال - تماثيل صينية قديمة، نادرة ومدهشة بقوتها وجمالها. كأن بيته لوحة واحدة متنوعة. وكأن الواقع فيه هو نفسه المخيلة. قديمة، نادرة، ومدهشة بقوتها وجمالها. الأبيض - الأسود، أو الأسود - الأبيض: ذلك هو حبره، خطأً ولوحة.

تنظير إلى ما يبدعه زنج لاي ده، تتأمل فيه، فترى أن الطبيعة تتحول إلى ما يشبه أبجدية تكوينية، تشع منها مخطوطات وكث أحلام وأفاق، تواريخ وأمكنة. وتشعر كأنك تقرأ وترى خيلاً ضخماً يطير بأجنحة فراشة، فراشة تحط على برعم اسمه القضاء،

شمساً تُقَدِّمُ لك حَبَّها، لكن تغريك أَوَّلًا
 قراءة ما كتبته لك،
 أطيافاً تَسِيرُ ملقية أذرعها على كَتَفِ الضَّوءِ،
 لهب حاجة في أعماقك
 للترخل طويلاً طويلاً في ذروات الجِبْرِ.
 والزَّمَنُ في هذه الأبجدية خفيف الخطوات. يدخل من أبواب بلون
 الرَّمَادِ، وعلى رأسه تاج ينتمي إلى وحدة الفصول. تنبعث من هذا
 التَّاج أشعة - خيوط ينسجها الجِبْرُ، وتتدثر بها الورق.
 أ- المُخْتَمَلُ يحمل الواقع بين ذراعيه،
 والهواء يتأبط المادَّة.
 ب - أن نتكلَّم هو أن نسكن الكلمة،
 لا أن نكتفي بلفظها.
 الكلامُ مسألة في شجاعة المجتمع
 لا في شجاعة اللغة.
 ج - قالت:
 جَسَدُ كَلِمَا التَّقِيَّةِ
 أعالج شهواتي بتخيُّل جَسَدٍ آخر.
 تلك اللَّيْلَةُ،
 نَامَ الشَّاعِرُ في أحضان رائقها.
 د - ليس السَّفَرُ طريقة في المعرفة،
 السَّفَرُ طريقة في الحبِّ.
 هـ - بيجنغ -
 قلبها واقف على سُرَّةِ الشَّمْسِ.

(١٧ آذار، الثلاثاء)

أو يانغ جيانغ هه، تانغ شيانغ دو، وانغ جيان زو، لان لان
 (شاعرة) شي تشوان، شوتساي، موهونغ يان (شاعرة) -
 شعراء يفتحون اللغة الصينية على الأدب العالمي (الروسي،

الإنكليزي، الفرنسي، الفارسي)، ويسافرون في أقاصيه. نتعارف، نتحاور، ونسافر معاً، وليس السفر هنا طريقة في المعرفة بقدر ما هو طريقة في الحب. هكذا يستطيع كل منا، عندما ينظر إلى النجوم في سماء البلاد التي يسافر إليها، أن يرى ما بين أفخاذهن، وأن يلامس أثداءهن.

٧٩٨ كَانَ هذا الرقم اسماً لمصنع عسكري. اليوم، تحوّل إلى مجمع فني. قمت بجولة سريعة في عدد من قاعات العرض، برفقة الصديق الدكتور بسام، دون برنامج، دون خطة، عفواً. فوجئت بحدثين كبيرين:

معرض لمنى حاطوم، الفنانة اللبنانية - الفلسطينية، ومعرض للفنان الصيني تشيو جيا (Qiu 2 hijie). ينظم المعارضين «مركز أولينز للفن المعاصر Ucca» الأول بعنوان «measures of entanglement» والثاني بعنوان «breaking through the ice» (كسر الجليد)

وكنت رأيت بين ما رأيته كيف ترسم الأساطير الصينية الشعبية، وكيف يرسم بوذا في شكل امرأة، منقذاً للعالم، (سو يونغ sho yong)، ورأيت كيف يرسم الإنسان واقفاً، بعينه الصغيرة مندهشاً، أمام ابتكارات العالم وعجائبها (سوجي Ji Shu) وكيف يسيطر الترميز، وهاجس تصوير «الأفكار»، و«تمثيلها»، في كل ما رأيته، وكيف تجيء «التقنية اللونية - الفنية»، في مرحلة ثانوية، بوصفها مجرد أداة للتعبير عن «الفكرة».

أما معرض «كسر الجليد»، فهو أولاً تجهيزٌ ضخمٌ يمثل الحياة اليومية في الجنوب الصيني، بأدواتها وأشياءها اليومية ذاتها. وثانياً ما سماه الفنان: «المدنية الفاشلة» - أربع سلاحف، أربعة جدران، أربعة أبواب، لا سقف، نبات يكسو أعالي الجدران تعبيراً عن الفشل في أوجه، وثالثاً، ما سماه «عاصفة في الدّاخل» ورابعاً ما سماه «زينون الإيلي» - الذي يظل واقفاً، فيما يتحرّك العالم دون توقف. وأخيراً ما سماه: «استراتيجية الدولة»: تجهيزٌ

بارع، شديد الإيحاء، عظيم الإتقان.

أما منى حاطوم، وقد رأيت سابقاً بعضاً مما تعرضه هنا، فهي فنانة خلّاقة وفريدة تصنع أراغين للمخيلة، فيما تواخي بين اليحاسة المباشرة والحدس البعيد، العميق، بين فيزياء العناصر وكيمياء المشاعر.

٧٩٨/ مدينة للفن تحتضن الطاقة الفنية المبدعة، لا في الصين وحدها، بل في العالم كله. مدينة الانفتاح، والحركة، ولهفة البحث، خروجاً من الذهنية الدوغمائية وثقافتها، ومن كل ما يطمس الرغبة وأحلامها.

*

(١٩ آذار، الخميس)

بين زيارة «المعبد السماوي» تلبية لشهوة العين، وزيارة موقع سينا (SINA) على الإنترنت، تلبية لدعوته لإجراء حديث مصوّر معي، سافرت بعيداً في مخيلتي -

بلى، بين الحجر والحجر في جدران التاريخ ينبت عُشب لا يوصف ولا يسمّى. وعبثاً تحاول أن تمحوه المعادن الثقيلة التي تتدرج فوقه.

عُشب بُزْهان على أن الحياة لا تغلب. أنها هي التي تنتصر أخيراً.

في العالم كله، حيث أتيح لي أن أتجول، تجولت في بستان حديد، واصطدمت بأجسام برونزية، ورأيت أشجاراً تنحني فيما كانت أغصانها تحول إلى منجنيقات لرحم الثمار التي تنضج في حقول المخيلة.

مهلاً يا أهل تلك المعادن، وأصفوا إلى الأسئلة التي يطرحها عليكم تلاميذ العُشب.

أصفوا أنتم، أيها الأصدقاء العاملون في الصحافة، بريد العالم الممكن المقبل - ووينغ، كواي ليه هاو، ليوتشي يونغ، مويه، جيانغ لوسي، وانغ جولي، شي جيان فونغ، تيان تشي لينغ، شيه تشي سان، كانغ كاي، ليويو، أصفوا، لكي تستيقظ لغائتنا

من سُبَاتِهَا لَكِي تَزْدَادُ قَرِيباً إِلَى الشَّعْرِ وَتَتَنَاوَلُ مِنْ يَدَيْهِ خَبِرَ
حُضُورَهَا الْخَالِقَ وَأَعْرَفَ أَنَّهُ حُضُورٌ يَهْدُهُ دَاءُ الذَّاكِرَةِ وَالْعِرْقُ
حَيْثُ تَرْقُصُ الْقَبَائِلُ وَتُصَفِّقُ السُّلَالَاتُ. حَيْثُ يَجْلِسُ الزَّمَانُ
بِائْساً أَعْرَجَ لَاهِثاً عَلَى عَتَبَاتِ الْأَمَكَةِ.

وَأَعْرَفَ أَنَّ حَمِماً تَتَطَايَرُ وَتَخْتَبِئُ فِي أَحْشَاءِ ظُلُمَاتِهِ يَقْذِفُهَا سِرّاً
جَوْعَ التَّارِيخِ. وَلَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَتَخَلَّصُ مِنْهَا تِلْكَ الرِّمَالُ الَّتِي
تَتَجَمُّعُ وَتَتَشَكَّلُ فِي عَسَاكِرِ وَنُجُومٍ وَخَرَائِطٍ،

هَذَا، عِنْدَنَا خُصُوصاً، عَلَى الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ - الْأَقْصَى / وَهَلْ
يُمْكِنُ أَنْ نُلْغِي الْجُمُعَةَ مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ، وَنَضَعُ مَكَانَهُ يَوْماً آخَرَ
بِاسْمٍ آخَرَ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُلْغِي كَذَلِكَ السَّبْتَ أَوِ الْأَحَدَ؟ دُونَ ذَلِكَ،
رُيْماً سَتَظَلُّ عَرَبِيَّةُ الْوَقْتِ تَبْحَثُ عَبَثاً عَنْ دُولَابٍ صَالِحٍ لِعُبُورِ
الْمَسَافَاتِ نَحْوِ الْمَجْهُولِ.

أ - لَا تَقُلْ: صَوْرَتِي قُلْ: هُوَ.

أَنْتَ كُلُّ مَا لَيْسَ عَلَى صَوْرَتِكَ.

ب - التَّبَسِّي عَلَيَّ، يَا نَفْسِي.

ج - «فِي قَمَرِ الصِّينِ شَقٌّ إِيْرُوسِي»،
يَقُولُ فَلَكَيَّ عَرَبِيَّ.

الشَّاعِرُ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ هَذَا الْقَوْلَ.

د - أَتَكُنِّي عَلَى الْهَآوِيَةِ،
لَكِي تَعْرِفَ كَيْفَ تَتَسَلَّقُ الضَّوْءَ.

ه - يَا دَلِيلِي النَّأْثَةَ،
لَيْسَ فِي جُبَّتِكَ إِلَّا أَنَا.

VI (٢٠ - ٢١ آذَار، شَانْغَهَاي)

شَانْغَهَاي،

يَبْدَأُ الْحَفْلَ لَا يَنْتَهِي.

الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي ثِيَابٍ يُبَلِّلُهَا مَسْكٌ خَاصٌّ تَحْمِلُهُ قَوَارِيرُ غَامِضَةٍ.
ثِيَابٌ تَحْتَ أَبَاطِهَا وَاقِعٌ يَسْكُ فِي أَنَّهُ الْمَخِيلَةُ، وَفِي أَكْمَامِهَا

مُخَيِّلَةٌ يُشَكُّ فِي أَنَّهَا الْوَاقِعُ.

يَبْدَأُ الْحَفْلُ لَا يَنْتَهِي.

وَكُلُّ مُخْتَمَلٍ ضَعِيفٌ.

وَالسَّاعَاتُ تَنْتَشِرُ قِبَابًا قِبَابًا تُرَاقُ تَحْتَهَا خَمْرَةُ الْغَيْبِ.

كَلَّا، لَيْسَتْ النِّسَاءُ ظِلْمَاتٌ، وَلَيْسَ الرِّجَالُ بَرُوقًا: أَشْجَارٌ وَاحِدَةٌ

يَنْسُجُ وَاحِدٌ لَشَهْوَةٍ وَاحِدَةٍ: الْحَيَاةُ، الْحُبُّ، الشَّعْرُ، الْمَالُ، غَالِبًا،

وَالسِّيَاسَةُ، أحيانًا.

وَكُلُّ شَيْءٍ شَرَّاعٌ.

الْمَرْسَاةُ قَوِيَّةٌ رَاسِخَةٌ، غَيْرَ أَنَّ الْحِبَالَ تَتَأَرْجَحُ يُمْنَةً وَبِسْرَةً فِي

عِبَاءَةٍ فَضْفَاضَةٍ. حَيْثَانٌ، أَسْمَاكُ قِرْشٍ، سَلَاحِفٌ، سَرْدِينٌ - عَائِلَةٌ

وَاحِدَةٌ، فِي رَائِحَةِ بَحْرِ مَالِحَةٍ، فِي مَاءٍ حُلُوٍّ أَطْوَلَ نَهْرٍ فِي الصَّيْنِ،

خَوَانِجٌ بُو.

دَوَالِيبُ الْوَرَقِ، الْإِنْتَرْنِتُ، الْكُمْبِيُوتَرُ، الشَّاشَاتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ

أُورِكْسْتَرَا وَاحِدَةٌ. وَلَا خِيَارَ - عَلَيْكَ أَنْ تُصَغِّيَ إِلَيَّ هَذِهِ الْمَوْسِيقَى.

إِذَا، أَعْطِ أُذُنِيكَ إِلَى صَدْفَةٍ وَاسْتَمِعْ إِلَى ضَجِيجِ الْعَالَمِ.

أَمَّا أَنَا فَسَوْفَ أُسَهِّرُ هَذِهِ الْعَشِيَّةَ عَلَى قَبْرِ الْمَعْنَى.

أُسَهِّرُ مَعَ نَاشِرِ كِتَابِي. وَانْغِ لِي شَيْنٌ وَمُتَرَجِمُهُ الدُّكْتُورُ بِسَامُ،

وَمَعَ شَعْرَاءِ شَانْغَهَايَ -

مُومُو، يُوِيُو، يِه رِين، تَشِي قُوِه، يِه تَشِينْغ، يُوَان تَشُون (جَاءَ

خُصِيصًا مِنْ مَقَاطَعَةِ تَسِه جَانْغِ)، وَالشَّاعِرَةُ الْجَمِيلَةُ الشَّابَةِ مِي

هُوَالُو

تَسَهِّرُ، وَكُلُّ مِنَّا يَسْأَلُ جَسَدَهُ: أَأَنْتَ مَوْجَةٌ؟ «وَلِمَاذَا النَّوْمُ»؟

يَقُولُ السَّهَرُ. النَّوْمُ يُشَبِّهُ عَيْنَ الْوُطُوطِ، وَعُنُقَ الْقَبْرِ.

•

إِنهَا شَانْغَهَايَ،

مَوْسِيقَى مَهَنْدَسَاتٍ وَأَضْوَاءَ، تَلْعَبُهَا أُورِكْسْتَرَا الْأَبْرَاجِ، وَالْعَصْرُ

يُذَنِّدُنِ الْإِلَازِمَةَ.

وَكُنْتُ عَرَفْتُهَا فِي نِهَايَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، ١٩٨٠ تَحْدِيدًا. وَكُنْتُ

قَرَأْتُ فِي وَجْهِهَا: كَيْفَ يَعَادُ ابْتِكَارُ الْعَالَمِ؟

ولم تكن الحُرِّيَّةُ حُرَّةً بعد،
ولم يكن للأفق شَهَقَةُ المحيطات،
وكانت اللغة لا تزال في بَوَاجِها الخجول، وشِبْه الخفي.
إنها شانغهاي،

الرَّاسِمَالُ في كُلِّ مكانٍ، واضعاً على رأسه قُبْعَةَ الإخفاء.
وتلك هي بيوتها القرميذِيَّةُ وأحيائها القديمة تتحوَّلُ إلى ما
يُشْبِهُ حَدَائِقَ تَسوُّرها الأبراج والعمارات. رأيتُ في هذه الحدائقِ
نُجُوماً تلبسُ قُبْعَاتٍ من السِّلُوفان، وتجلسُ في دوائرٍ تُحيطُ
بسَاحَةِ الشَّعب. وكان قَصَبُ السُّكَّرِ يتكئُ على جدرانِ الحوانيتِ
الطَّغْيِرَةِ كمثل جنودٍ أرهقهم السَّيرُ، في حُزْنٍ أَسْوَدَ كَأَنَّهُ يرشُّ
من الأيدي التي حملت هذا القصبَ من حقوله البعيدة.
صَحَبَ في أحشائي -

من يقدرُ، من يعرفُ أن يقولَ له: تَوَقَّفْ!
كلا، لا تُغْرِينِي صناعةُ الرِّيد، هذه التي تبدو كأنها تكادُ أن ترسمَ
صُوْرَةَ العصر. وما هذه الوردة التي تمنحُ جَسَدَها إلى سِريرِ
بلاستيكي؟

لكن، هوذا أعبُرُ أمامَ زَهْرَةِ لوتس، وأقنَعُ عَيْنِي:
جميلٌ حقاً أن يَظْهَرَ بُودا، أينما اتَّجَهِت،
في صورةِ امرأة!

أ - عَصْرُ

كمثلِ ورقٍ يتطايرُ في إغصارِ المغنى.

ب - لا يَنْقَشِعُ ضَبَابُ المُدُنِس،

إلا بِريحِ تَكُنُسِ غُبَارِ المُقَدَّس.

ج - لنبعِ المغنى

عِيْثَان لا تَكْفَانُ عن البكاء.

د - الآلة، الآن،

تُصِفُ رَجُلٌ وشِبْه امرأة.

هـ - الغيمةُ مُعْطَفٌ ممزَّق

ذلك ما يؤكِّده جسمُ الفضاء.



VII

في الغسق، على نهر خوانغ بو، حيث يتحوّل الإسمنتُ إلى شريطٍ
كأنه الحريزُ يصل الإسفلتَ بالسحاب، وسُرّة الشرقِ بِشفتيّ
الغرب،

كان برج جين مَوْ يقرأ شعره على الفضاء، في ضبابٍ يبدو كمثل
حجابٍ شفافٍ ينسدُّ على رؤوس العمارات. وكان الفضاءُ يترعُّ،
يداً لكتفي التّيب، ويداً لخاصرة نيويورك.
نساءً يترقرقن على كورنيس النهر. يُمسكن الوقتَ بأهدابهنَّ
ويقتنضن طيورَ المسافات.

وتأملتُ في يرقّات الحريز الكونيّ كيف تخرجُ من بيوضها
وكيف تتمددُ حول آلةٍ تحرّكها إلهٌ لا من الواقع لا من الأسطورة،
من غيبٍ آخر في جرح تكويني آخر.
وكان في الأفق ما يَتِمُّ: انحناءٌ ظهركَ، أيّها الإنسان، هاويةٌ
أخرى تشق العالم.

كان يمكن في هذه اللحظة أن أقول كلمةً واحدةً: سلاماً، قبل أن
أعود إلى الفندق، بارك أوتيل في ساحة الشعب، وأدفن رأسي في
سرير وجع كأنه العرب، أو كأنه هذا الكونُ الطُفْلُ الذي يشهقُ
ويكاد أن يختنق.
ولا رسالة،

غير أنني حزنت قليلاً لأن الأمنَ لم يسمح، وفقاً للقانون، أن
تصعد معي إلى الطائرة زجاجة الحبر الصيني.
أعتذر، إذًا، إلى جميع العناصر التي تتمازجُ في هذا الحبر وتشارك
في تكوين هويّته السائلة السوداء البهيّة.
ولا رسالة،

لكن، لا بدّ من أن تكون للحياة أجنحة،
وأن تخفق هذه الأجنحة في صدر اللّغة.
لكن، وداعاً شانغهاي،
لولم أزرِكَ ثانيةً،
لخفّت أن يقال عني:

جاءَ إلى العالم وذهبَ ولم يرَ شيئاً.
سافرَ الورقُ في حبرِ الأسئلة،
سافرَ الجبرُ في الصَّوت،
أين ستسافرُ أيُّها الصَّوت؟

خلايا نافرة في جسد الوقت

١. غرناطة

-١-

السَّاعة الحادية عشرة صباحاً.
الخارجُ الجامعُ حميمٌ. زهره يَشِيخُ لا من الخريف، بل من
الحكمة.
الحكمة مسكٌ.
والمسك طفولةٌ دائمة.

-٢-

قبل أن أقرأ لوركا، وقبل أن أزورَ بيته في غرناطة، كنتُ أقولُ
عنها إنها لغةٌ لا تشبعُ الأيامُ من رضاعِ تَدْيِيها. وكُنْتُ آخذها
بحبالِ صوتي، وأعقد هذه الحبالَ بجذورِ الشَّعر.
وعندما قرأته، لم أكن أعرفُ أنني أغرُزُ كوكباً غريباً في رأسي.
ثمَّ تعلَّمتُ كيف أقيسُ الفروقات بين الشَّعراء والكواكب.
حقاً، لا تُرى غرناطة إلاَّ حاملةً لوركا بين ذراعيها.

-٣-

السَّاعة الحادية عشرة صباحاً، في العاشر من أيار ٢٠٠٩، زرتُ
برفقة شعره قصر الحمراء.
زيارةٌ ليست الأولى، وأرجو ألا تكون الأخيرة.
كانت خطواتنا حذاءً لقافلةٍ من عُشَّاقٍ أحبَّوا نياقهم.
وكانت الأشجار وأنواعٌ كثيرة من النباتات ترافقنا.
غُنَّت. أُنغِغَ غناؤها الهواءَ لكي يعزفَ تأليفه الموسيقية التي لم

يعزفها من قبل.
النَّهار كمثَّل لوحَةٍ تَوَطَّرها حواجِبُ الشَّمسِ، كُنَّا نبدو فيها كأَتْنَا
بُونَوَّانٍ يَجِيئَانِ مِنْ شَمْسٍ أُخْرَى.
لم تصعد الشَّمسُ إلى عَربَتِها العالِية. آثَرَتْ أَنْ تَواصِلَ السَّيْرَ مَعَنَا
مَشْيًا عَلَى قَدَمِهَا.
حَسَنًا، فَعَلَتْ أَيْتَهَا الصَّدِيقَةُ الشَّمسُ. تُعَلِّمُنِي أَنَّ لِي فِي كُلِّ
مَكَانٍ جَذْرَيْنِ: وَاحِدًا أَضِيئُهُ، وَآخَرَ يُضِيئُنِي.

—٤—

الأيام تَرَقِدُ فِي ثُقُوبِ قِصْرِ الحِمْراءِ. فِي زَوَايَاهُ. فِي المِمْرَاتِ
وَالأُرُوقَةِ. فِي الأَقْفَالِ والأَبْوَابِ. فِي الأَحْوَاضِ والحِذَائِقِ. فِي
النَّقُوشِ والرَّسُومِ، الأَلْوَانِ والحُرُوفِ والخطوطِ. تَرَقِدُ حَوْلَهَا أَرْقَامٌ
وإِشَارَاتٌ. دُرُوبٌ وَأَفَاقٌ.
سَلَامٌ. سُرُوجٌ. طَاسَاتٌ لِلرُّؤُوسِ، وَطَاسَاتٌ لِلشِّفَاهِ.
تَرَقِدُ فِي سَدِيمٍ أَخْضَرَ.
— لُورْكَا، هَلْ يَقْدِرُ الشَّعْرُ أَنْ يَكُونَ وَطَنًا لِلْيَقِظَةِ؟
— وَأَيْنَ الْيَقِظَةُ الَّتِي تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَطَنًا لِلشَّعْرِ؟

*
كَانَ الضَّوُّ يَنْسِجُ لِلظِّلِّ ثِيَابًا غَيْرَ مَرْتَبَةٍ. وَفِي الشَّفَافِيَةِ الَّتِي
تَوَالَفَ بَيْنَ الْأَطْرَافِ صَانِعَةٌ مِنْهَا أَوْرِكُستَرَا، رَأَيْنَا كَيْفَ يَكُونُ
الظِّلُّ ضَوْءًا، وَالضَّوُّ ظِلًّا. وَتَأْكُدُ لَنَا أَنَّ الضَّوِّ لَا يَمُوتُ إِلَّا مِنْ قِلَّةِ
الْعَمَلِ فِي حَقْلِ الظِّلِّ.

*
السَّاعَةُ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ صَبَاحًا.
سَأَلْنَا عَنْ ثَوْرِ أَسْوَدَ قَلِيلٍ إِنَّهُ ضَرَبَ مَوْعِدًا لِلْمَصَارَعَةِ.

*
سَأَلْتُ لُورْكَا: أَيْنَ أَجْدُ آلَامِ غَرْنَاطَةِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الشَّرَفَاتِ
وَالنَّوَافِذِ؟
— انْظُرْ إِلَيْهَا كَيْفَ تَنْحَنِي عَلَى الْعَتَبَاتِ.

تخيلت ذلك اليوم الذي أمطرت فيه سماء غرناطة في إحدى زياراتي.

كان الرعد نشوة جنسية في فراش الغيم. ورأيت المطر كيف يهجر عشيقته، الغيمة الشاردة، التي كانت معه في فراش واحد. ورأيتها كيف تذوب حزناً، وتموت. ولم يكن قبرها بعيداً عن البيت الذي وُلد فيه لوركا.

*

تخيلت أنني أسأل لوركا:

— هل أشفى إن قلت: أعود إلى طفولتي؟
أو قلت:

بين ذراعي رمانة أنام،
وفي سرير وردة أستيقظ؟

*

في ذلك اليوم،
لم تحضني غرناطة بذراعيها.
أجلستني على ركبتها.

— ٥ —

قالت غرناطة: كنت في الأندلس زوجة ثانية.
لماذا أبدو اليوم كأنني زوجة أولى، وكأنني أكثر فتوة؟

— ... —

— هل الوقت، اليوم، ذكّر كذلك؟

— ... —

*

تشغلني الآن فضيحة الغسق.
يشغلني، على الأخص، هذيان يتدفق من أبجدية الفجر.

*

سألت لوركا:

— كيف لم تتعب الجيرالدا من وضع رأسها على كتف الريح؟

لم يجب. قال شيئاً آخر:

- يحتاج رأسي إلى فترة طويلة من النقاة يمضيها في بساتين قلبي.

-٦-

خُذ الضَّوءَ وارسمهُ جسداً مائلاً على جسد الظلِّ. ستري أَنَّ النَّظْرَ
مرآةً. أَنَّهُ وَجْهٌ وَعَيْنَانِ وَكَلَامٌ. ستري أَنَّ النَّظْرَ لَمْسٌ بِالصَّمْتِ
والحركة والإشارة.

قُلْ: الظِّلُّ جَدُولٌ. وسوف ترى كيف تتحوَّل الجدران إلى دفاتر.
وكيف يتدلَّى الحبرُ أقرطاً في آذانِ الحجارة.
وكيف يكون الحَجَرُ تمرُّداً، والحبرُ تزويضاً.
وسوف ترى أَنَّ النَّقْشَ وَالرَّقْشَ إِحْكَامٌ رَمِي لِلْحَبْرِ، وَأَنَّ الحَرَكَاتِ
أَقَالِيمَ.

-٧-

- «في الحمراء، تتألف مواليدُ التاريخ من مواليد الطبيعة»، قلتُ
للوركا.

قال: الزَّمن، هنا، تَسْطِيرُ خطوطٍ وتخطيط ظلالٍ وأضواء. كأنَّ
الضَّوءَ مَسْطَرَةً نَجَّارٍ بارِعٍ.
وقلت: هنا، العطرُ وصِيٌّ على عرش الورد، والضَّوءُ وصِيٌّ على
عرش الماء.

-٨-

تعريفات

- * النَّقْشُ دَفْتَرُ قَيْدٍ للحركة.
- * الهَوَاءُ إِزْمِيلٌ يَكْشِطُ الحجرَ.
- * النَّظْرُ لَمْسٌ ضَوْئِيٌّ، أَوْ هُوَ إدْرَاكٌ سَمْعِيٌّ للفضاء.
- * النُّقْطَةُ خَوْخٌ أَخْضَرٌ، حيناً، وحيناً مكانٌ لنداء الخُطوطِ
وتَحْنِيدِهَا. وأحياناً، عَيْنٌ غائِرةٌ.
- * الجِدَارُ، كَمَثَلِ العمودِ، قَامَةٌ تَفْتَرُ وتتكاسلُ غُنْجاً، لَا تَعْبَأُ.
- * القَنْطَرَةُ أَمِيرَةٌ لِنَحْلِ الأضواءِ.

- * للقبية خاصرة تَضْبِطُ رَقَصَ الألوان.
- * الزاوية شِعْرٌ موزون.
- * العمودُ عَصْلَةٌ رافعة.
- * السَّقْفُ يسمعُ بخشوعِ خطابِ الألوان.
- * البابُ يُشْمَرُ أكمامه.
- * النَّحْتُ النَّاقرُ يُرَوِّقُ الباب.
- * الشمسُ تُريحُ أَعْضاءَها على الجدران.
- * الهندسةُ فنٌّ في تَرْوِيضِ الرِّيح.

— ٩ —

(زاوية السَّقُوطِ)

- تَشْعَنُ، لكي تُحَسِّنَ توحيدَ أجزائك، أيها الضوء.
- بين الأقواس المتشجرة، والضِّلَعِيَّة، والمُسَنَّنَة.
- بين العقود المَقُولِبَة التي تَغْطِي أعالي النوافذ، والأروقة المَقْنَطَرَة،
- وَالشَّرَفَاتِ المَقْوَسَة، في هندسة — عُرْسِ دائِم.
- أرثنا، أيها الضوء كيف تَسْتَرْخي السَّمَاء في ثَقُوبِ تَرْقِشُ السَّقْفِ،
- وكيف تكون الهندسة والسَّمَاءُ تَوَآمِين.
- أرثنا، كيف تكون الهندسة اسماً آخرَ للشَّعر،
- وَعَلَّمْنَا كيف يكون ما لا نراه أَجْمَلُ ممَّا نراه.

— ١٠ —

الخاتمة

- الآن، بعد أن سمح لي الغيمُ في غرناطة أن أكون أخاً للمطر، هل
- سَيَسْمَحُ لي البحرُ أن أكونَ أخاً له؟

II فَرْد

— ١ —

- اقْرَأْ — لا تَقْرَأْ
- إلا ما يُولَدُ فيكَ شهوةُ الكتابة.



-٢-

جاء جسدها، غاب جسدها:
بعض أعضائه شاهدٌ لي،
وبعضها شاهدٌ عليّ.

-٣-

لبعض الآلهة في تقاليد شعوبٍ قديمة، أشكالٌ وأقنعةٌ حيوانية:
أكان ذلك تعبيراً عن الوحدة مع الغيب،
أم عن الوحدة مع الواقع؟
ولماذا يبدو فنّانو تلك الشعوب كأنهم لم يكونوا
يبتكرون إلا ما يخافون منه؟

-٤-

الأب -

ذلك الجذر الذي لا جذر له.

-٥-

تلبس الحداد؟
على اللغة العربية؟ على العروبة؟ على العرب؟
الأسود، في كلِّ حالٍ، يليقُ بهذا الزّمن.

-٦-

ليس ما قلّته هو الذي يُحاصرك
بل هو ما لم تقله.
قلّته، لنرى ما يكون.
ولماذا تخطبني الآن ممّا سيكشف عنك غداً؟

-٧-

متى تتجرأ
على نبش العَبَثِ في ذلك القَبْرِ
الذي حَفَرَه الحبّ؟

-٨-

تَنطَوِي حَيَاتُهُ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ اعْتَقَلَهَا فِي دَاخِلِهِ، وَمَالَ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الْحَرِيَّةِ. مِنْذُ فَتْرَةٍ، أَخَذَ يُحَرِّرها تَبَاعاً. الْيَوْمَ، نَدَمَ عَلَى
تَحْرِيرِ بَعْضِهَا. مِثْلًا، نَدَمَ عَلَى تَحْرِيرِ مَعْرِفَتِهِ بِأَشْخَاصٍ كَانَ
يَعُدُّهُمْ أَصْدِقَاءَ.

-٩-

هُوَ ذَا شَخْصٍ لَا يَعْمَلُ عَلَى تَحْرِيرِ غَيْرِهِ،
إِلَّا هَرَبًا أَوْ خَوْفًا مِنَ الْعَمَلِ عَلَى تَحْرِيرِ نَفْسِهِ.

-١٠-

بَقَدَّرَ مَا تَزْدَادُ مَعْرِفَةً بِالْحَيَاةِ، تَشْعُرُ أَنَّ الْحَيَاةَ تَزْدَادُ صَعُوبَةً
وَعُمُومًا:

مَا هَذَا السِّرِّ الَّذِي يُخَيَّلُ لِلإِنْسَانِ
أَنَّ الْمَعْرِفَةَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْجَهْلِ؟
لِلزُّمَانِ، هُنَا - فِي الْحَيَاةِ الْعَرَبِيَّةِ،
مِثْلُ جَارِفٍ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ مَكَانًا.

-١٢-

أَلَيْسَ هُنَاكَ حَظٌّ
لِذَلِكَ التُّزْدِ الْغَامِضِ
الَّذِي يَقْرَأُ الْحِظُوظَ وَيُورِّعُهَا؟

-١٣-

لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي الْمَوْتِ،
لِغَايَةِ وَاحِدَةٍ:
أَنْ يُجِدَّ الْكَلَامَ عَلَى الْحَيَاةِ.

-١٤-

قَلْبٌ دَائِمًا: لَا.



رُبَّمَا لَا تَلِيْقُ كَلِمَةٌ نَعَم، إِلَّا بِذَلِكَ الزَّائِرِ الْأَخِيرِ:
الموت.

- ١٥ -

ليس للجماعات معنى،
إلا بوصفها أفراداً.

- ١٦ -

مَنْذَ أَخَذَ يَعْتَزِلُ النَّاسُ،
يَبْدَأُ يَشْعُرُ أَنَّهُ أَكْثَرُ قُرْباً إِلَيْهِمْ،
وَأَعْمَقُ مَعْرِفَةً بِهِمْ.

- ١٧ -

يُهَاجِمُهُ السَّفَرُ فِي عَقْرِ دَمِهِ،
وَتَهَاجِمُهُ الْعُودَةُ فِي عَقْرِ خَطَوَاتِهِ.

- ١٨ -

لَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنِ التَّحَوُّلِ،
وَلَا يُمَارِسُ إِلَّا الثَّبَاتَ:
لِيَكُنْ مُخْلِصاً، عَلَى الْأَقْلَى،
لِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي لَا تَفَارِقُ شَفَقَتِيهِ.

- ١٩ -

غَالِباً،
يُتَبَيِّحُ سُوءَ التَّفَاهُمِ
تَعْمِيقَ الْفَهْمِ لِكُلِّ مَا هُوَ سَيِّئٌ

- ٢٠ -

يُحْلِنُ نَفْسَهُ قَائِداً،

ولا يستطيع أن يمشي
إلا بخطوات الأشخاص الذين يقودهم.

- ٢١ -

شاعرٌ لا يفتاتُ إلا بغبار الكراهية:
هكذا، قلماً يرى إلا ماشياً،
حاملاً لسانه بين قدميه.

- ٢٢ -

كان ينبغي أن يموتَ في نهايات القرن العشرين، أو هكذا كان
يأمل.
الهدا يشعر، اليوم، أنه ليس مُقيماً في القرن الحادي والعشرين،
وأنه ليس موجوداً فيه، إلا بوصفه مُهاجراً؟

- ٢٣ -

عندما يمرَ وقتٌ طويلٌ لا يكتب فيه قصيدة يطغى عليه الشعورُ
بأنه مُسافرٌ أضناه التعب، ويكاد أن يموتَ ظمأً.

- ٢٤ -

كلّما دخل سريره لكي ينام،
يطلبُ له أن يُردّد
في نفسه لنفسه:
الحبُّ جسدُ الضوء
والجنسُ عِزْقُ في الليل.

- ٢٥ -

الإنسانُ قصبةٌ فريدةٌ وعاليةٌ
لكتابة الأرض.



- ٢٦ -

الطُّفْلُ الَّذِي فِيَّ
مَأْخُودٌ أَبَدًا بِالْتِمَرْدِ عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي هُوَ أَنَا.
وَهُوَ طِفْلٌ يَعْتَقِدُ
أَنَّ الْعَالَمَ لَا يَزَالُ مِثْلَهُ،
فِي الْمَرَحَلَةِ الْأُولَى مِنْ طِفُولَتِهِ.

- ٢٨ -

عَالَمٌ - يَبْدُو لَهُ، هَذِهِ اللَّحْظَةُ،
كَأَنَّهُ عَرَبِيَّةٌ تَجْرُهَا أَحْصَنَةُ الْكَأْبَةِ،
عَرَبِيَّةٌ مَلِينَةٌ بَعِطَرِ عُشَّاقٍ مَاتُوا.

- ٢٩ -

أَمْسٍ، ابْتَكَرَ قَنْدِيلًا،
وَهُوَ، الْيَوْمَ، يَغَارُ مِنْ ضَوْئِهِ.

- ٣٠ -

رَفُّ مِنَ النَّوَارِسِ يَتَكَيُّ عَلَى رُؤُوسِ الْأَمْوَاجِ:
هَلْ يَكْتُبُ رِسَالَةً إِلَى الشَّاطِئِ؟

III طَيْفٌ

أَحْيَانًا، يَخْطُرُ لِي أَنْ أَعَاشَرَ طَيْفًا -

(لَا فِي نَوْمِي، بَلْ فِي الْيَقِظَةِ،

لَا هَرَبًا مِنَ الْوَاقِعِ،

بَلْ إِمْعَانًا فِي الْكَشْفِ عَنْهُ:

مَا هُوَ، وَمِنْ ذَلِكَ الْكَائِنِ الَّذِي يَشْغَلُهُ

وَالَّذِي يُسَمَّى الْإِنْسَانُ؟) -

طَيْفًا لَا أُرِيدُ

أَنْ أَعْرِفَ، بَدَقَّةٍ، إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَنْتَمِي، أَوْ إِلَى أَيِّ زَمَانٍ.

طيفاً يَحِبُّ، عندما يكونُ كلُّ ما حوله راکضاً،
 أن يجلسَ على مَقْعَدٍ أمام نافذة، يُصغي إلى الموسيقى،
 أو يَقلِّبُ كِتَاباً لم يقرأها، أو كِتَاباً قرأها منذ فترةٍ طويلة.
 كَانَ الطَّيْفُ الذي جاءني أمس، تلبيةً لهاجسٍ مُلِحٍّ، يلبس قفطاناً
 بلونٍ مزيجٍ من البَحْرِ والوَرْدِ.
 وكان عائدًا من سَفَرٍ، حاملاً وراءَ أهدابهِ جبالاتٍ من صُور الأشياءِ
 التي رآها.
 كَانَ مُزْهِقاً، تكادُ خطواته أن تتعثَّرَ حتَّى بالضوءِ.
 فجأةً، اقتربَ وانحنى على كتفي، وسمعتُه يقولُ شِبْهَ صامتٍ:
 أَعْطِنِي يَدِيكَ، افتحْ لي صدركَ،
 يا صديقي، أنت، يَا أَيُّهَا الطَّيْفُ.

II

مرَّةً، اخترتُ اسماً لطيفٍ أتفحَّصُ به هذه الأسئلة:
 أهناكَ وجودٌ للفكرةِ إلّا بالكلماتِ وفيها؟
 أهناكَ وجودٌ للكلماتِ، إلّا بالأشياءِ وفيها؟
 أهناكَ معنىٌ للإنسانِ إلّا باللُّغةِ وفيها؟
 وهل أستطيع، إذاً، أن أقول: أَيُّهَا الإنسانُ، أنتَ لغتك؟
 مرَّةً اخترتُ اسماً لِطَيْفٍ لكي أسألَ به:
 هل غيابُ الحبِّ، أو الصِّداقةِ، أو الإبداعِ، هو الفراغُ؟
 وهل أستطيع، إذاً، أن أقول: لا وجودٌ للفراغِ، إلّا على أطرافِ
 اللُّغةِ.

خارجَ الكلامِ؟

مرَّةً اخترتُ اسماً، لكي أطرحَ هذه الأسئلة:
 لماذا، غالباً، يبدو الحقيقيُّ كأنَّه هو، وحده، الوَهمُ؟ ويبدو
 الموجودُ كأنَّه هو وحده الَّلَامُوجُودُ؟ ويبدو الحاضرُ، حقاً، كأنَّه
 هو، وحده، الغائبُ؟
 ويأتي لَهَبُ نُوسُوسٍ إلى اللُّغةِ، لكي يُمكنَ فتحَ نوافذٍ جديدةٍ في
 جدرانِ هذه الأبديةِ الخائقةِ؟



ولماذا، أحياناً،
يكونُ أرقُّ الحبِّ أجملَ العيون؟
ولماذا، غالباً،
يكونُ جسدُ المرأة العاشقة
أكثرَ اتساعاً مِنَ الأفق،
ويكونُ حبُّها
حنجرةً لشهيقِ الفضاء؟

III

الطَّيْفُ؟

لا تراهُ إلا عينٌ عاليةٌ
لا تسمع كلامه إلا أذنٌ
تعرف أسرار الصَّمت.

IV

الطَّيْفُ؟

جسْرُ عَائِمٍ عَائِمٍ بين المخيِّلة والمادة.
لا شيء في صورة الشَّيء.

V

الطَّيْفُ؟

شعْرُ آخر للبصر من أجل أن يُصْبَحَ بصيرةً.
ماءٌ يُنْحَرُ فيه، بشراعٍ واحدٍ،
جسدُ الوَهمِ وسريرُ الحقيقة.

IV براغ

-١-

يبدو أن السَّماء في ساحة براغ القديمة تظلُّ مُعلَّقةً بِخَبِلِ رِبطته
الأيام بعنق تمثال برونزيٍّ ضخم.

يبدو كذلك أَنَّ هذه السماء لا تحبُّ الأسئلة التي تطرحها غيومٌ
تجيء من دُخُر البشر، لا من الجبال أو من البحار.
غير أنَّ المشكلة هنا هي أَنَّ الصُّخْرَ لَغَةً في المستحيل.

-٢-

خالد فاضل رامي
الحياء من حاضرة،
لكن الأضواء في مكان آخر.

-٣-

مع ذلك،
يُمكن في هذه الساعة تعلمُ الكيمياء التي تقدر أن تحوّل الغيمة
إلى امرأة،
والفضاء إلى تجويف أخضر في جِلد البُهو.

-٤-

خُيِّل إليّ، فيما كنتُ أُعيرُ هذه الساعة في أحياء الشارع الملكي،
أَنَّ للسيكلوب الآن في البحار الأوروبية عشرين
وقلتُ في نفسي متسائلاً:
ألم يكن هذا العملاق الأسطوري أحدَ نظرائنا عندما لم تكن له إلا
عينٌ واحدة؟

-٥-

براع، كمثّل بيروت:
يتلصصُ فيها التقدّم لايساً معطفاً أسوداً
له يدانٍ لهما شكلُ مَلَايِكِ الإلكتروني.

-٦-

براع كمثّل بيروت:

يكاد الماء فيها أن ينقسم هو نفسه حتّى في الكأس الواحدة. ذلك
أنّ المنحدر أمام التقدّم فيها، إنما هو جرحٌ كونيّ.
وثمة انشقاقاتٌ وتصدّعاتٌ في جدران الزّمن، وثمة انكساراتٌ
في الهيكل العظميّ الذي يُسمّى المكان.
وانظروا:

الجسم ينتمي إلى المحار،
والعظم صدَفٌ كلّسيّة:
إذا،

كيف تهجّئين هنا كلمة العَصْر،
أيتها الأبدية؟

-٧-

- وَخِي من جهة لا تيرنا ماجيكا:
١- ثقافةٌ كمثّل سَمَاعَةٍ رَأْسِيَّةٍ لِيَزِقَ لاسلَكِيّ.
٢- الحرّية مرفوعةً على عمودٍ ذَرِيّ.
٣- خيرٌ للقَرْنِ الطّالِع أن يلفُ رأسه بالقَشّ.
٤- عِلْمٌ يَتَغَوّطُ في سرير الشَّعر.
٥- تَقِيحٌ في رَتّة العلم.
٦- ليس المهمُّ أن يكونَ الإنسانُ أَكْثَرَ من حيوانٍ سياسيّ،
المهمُّ أن يكونَ أَكْثَرَ من حيوانٍ ناطق.
٧- ألوهةُ السِّيَاسة هي نفسها سياسةُ الألوهة.

-٨-

براغ في سِرْوَالِها اللَّيْلِيّ:
لهذا السِّرْوَال حِجْمُ الشَّوَارِعِ مجتمعةً.
قليل لي حول مائدة:
رأسُ الحبِّ هنا
هو كذلك محمولٌ أبداً
على طبق السَّيدة سالومي.

وقيل لي:
لا يتوقّف النّفط العربيّ عن الكلام،
والحقّ مع غيره، دائماً.
هكذا تحظى بأكثر من سارتر في براغ،
يلبسون جميعاً قُبَعاتِ العمل،
ويصنّعون مصافيّ للحرية في الوجود النّقْطِيّ.
كيف يُذهّشُ إذاً من يرى أنّ الحبّ يُحبّ أن يعيشَ في قفص
الآلة؟
وكيف لا يُذهّشُ مَنْ يرى أنّ الحرية هي نفسها تحرسُ أبوابَ هذا
القفص؟

- ٩ -

تجلسُ براغ هي كذلك إلى مائدة العيد الذي لا يدعى إليه، إلاّ من
اختاره الله، أهلُ الصّلاة والصّلات، تخطيطاً للدّخول إلى المناخ
الذي تنضجُ فيه الأفكار والآلهة كما تنضجُ الفواكه.
وتؤكدُ براغ أنّ الكسل الأوروبيّ ينامُ في أحضان عملٍ آخر بين
حركاتٍ ليست إلّا جراحاً عميقةً في عنقِ اللّغة.

- ١٠ -

أتنقّل بين الأزقة القديمة، ويُخيّل إليّ كأنني أسمع أصواتاً:
* تجوّم الحياة حولنا
* كأنها طيرٌ أغمى.
* مهما كانت يمينُ المعنى باذخةً،
فأنا أفضّل الجهة اليسرى من فردوس الصّور.
* بعض الكلمات هي نفسها سلاسل.
* الجنة بابٌ مخلوّع
أمام المؤمن، أيّاً كان.
* ليس في الكواكب غير الغبار،
ليس في الغبار غير الكواكب.

- ١١ -

براغ - المدينة شعر،
لكن، أين الشعر في براغ - الناس؟
وهل أصبحت أقل من توت بري
حتى أنت، أيها الشعر؟
إذاً، باسم الشعر،
احمل الشمس على كتفك، وقل للقضاء: كن قميصاً.
آنذاك تعرف كيف تكتسي بالسماء صاعداً على سلم اللون،
وكيف تنسج قوس قزح من خيوط المخيلة.
ولا تنس: العمل هنا، كمثل الغيم، أنفاس مزهقين يكتبون
تاريخهم بحبر هو نفسه تاريخ مرق.
هكذا،
إن جاءك البحر المتوسط، صباحاً، فمن الممكن أن تهمس في
أذنيه: أخطأت الطريق يا صديقي.
غد صباح غد لكي أدلك عليها. غير أنني سأقيم باسمك جنبه مع
الليل، وأنتظر.
لا تقلق. عندي صبر المجرات.

- ١٢ -

جسر شارل

تحت قنطرته الوسطى عرياء حمام تجر ثيراناً سماوية اختصت
بإيقاظ الموتى الذين اختصوا بإيقاظ الأحياء.
كانت الحرية قد أشعلت شموعاً سالت مع ماء فلتافا.
السياحة غبار العصر، وفلتافا يتدفق بكاء.
أتخيل طريقاً آخر للتاريخ، وأتكئ على القنطرة الأخيرة في جسر
شارل، أتتاور مع ماء العالم:
عرفت، أيها الشيطان الفاتن، كيف تُلغز الكلام، مرة واحدة وإلى
الأبد.
متى ستؤسوس للشاعر لكي يضع أخيراً طغمة الهُزْموني حول
سرة السماء؟
(براغ، ٧ - ١١ حزيران ٢٠٠٩)

V في الليل، والسَّماء كمثّل جسم فائق

-١-

أهناك جسد آخر للضوء غير منظور؟
إن كان ذلك موجوداً، فلا بُدَّ من أن تكون هناك جهة أخرى للهواء
غير منظورة.

لا بُدَّ كذلك من أن يكون الضوء يتدفّق في كل منّا، غير أنّنا لا
نراه.

خاطرة لم أكّد أنتهي من كتابتها، أمس الأول، حتّى رنّ جرسُ
الهاتف:

- أنت مدعو إلى تنّورين.

- غداً؟

- غداً.

لم يكن مُمكنًا، بالنسبة إليّ - أنا الذي يتخبط في شبكة المدينة،
أن أقول: لا. خصوصاً أن وسيم حرب هو صاحب الدعوة وعرفت
أنّه دعا كذلك بعض صديقاته وأصدقائه الخُلاء.

-٢-

في الطريق إلى تنّورين، غرقت في التأمل وعيناي تتسابقان
لالتقاط صور الأماكن التي نمرّ بها، أو تتراءى من بعيد.
طريق سَلالِم يصعد عليها النّظر نحو فِتنةِ الفضاءات، ويهبط نحو
أسرار الأرض.

هكذا كُنْتُ أرى الجمال يمسح بشفتيه الغبار الذي تكدّسه الأيامُ
على جسد المادّة، وأرى كيف يمكن أن تغسل يدُ المكان وجه
التّاريخ.

الكورة، قنّات، قنيور، برجليون، حدث الجبّة، تخلق فيك عيناً
أخرى تشعر كأنك تلمسها للمرّة الأولى: عيناً تتيح لك السير
على طريق الخروج من عالمٍ ينهض على أعمدةٍ من الخناجر
والسكاكين.



-٣-

وصلنا. لا تنورين البلدة، بل تنورين - الجرد، أعني الأطراف والضواحي التي لم تفسدها بعد النفائات المدنية. الحقول الصغيرة المهيأة بإتقانٍ وشَغَفٍ لكي تكون بيوتاً للشجر والنباتات، منثورة في أحضان جبل أخضر، يتعمم بالغيم والشمس، وتخوض قدماه في العشب، وفي نباتات وأشجار يتعذر عليّ ذكر أسمائها. وأكد أن كثيراً منها سيفلّت حتى من ذاكرة البستاني نفسه، إذا سُئِلَ عنها، وذلك لتعددتها وتنوعها.

-٤-

ليس البيت الذي استضافنا مجرد بيت. إنه مكان للقاءات باذخة بين النجوم والصخور. بين قبة السماء ورووس الأشجار. بين القرية والرغبة. بين بهاء الطبيعة وبهاء الإنسان. الحجارة نفسها وقطع الخشب تأخذ أشكالاً فنيّة كمثّل تماثيل تبدو كأنّ إزميل الدهر هو، وحده، نحّاتها الكريم.

-٥-

في الليل، إلى جوار العريشة، حول نارٍ تذكّر بعشاقها الأوائل، كان الجسد يمتزج بالوزد والخزامى. وكانت السماء كمثّل جسم فاتن لا يليق بغير كوكب الزهرة أن يكون ستره له. ورأيت هذا الكوكب ينزل نحونا لكي يسهر معنا في سرير هذا المكان. وكان في طريقه ينثر فوقنا أزهاراً لا تنبت إلا بين يديه.

-٦-

- السياسة؟

- تقصد الراهنة؟ أفكر في السياسة، غير أنني لا أفكر سياسياً. والأساس في الحالين هو أن يتكلم الصدق، وحده، ضد أحلاف الكذب، التي لا تُحصى. - نتفق، إذأ على أن هناك صلباً آخر: لبنان مربوطاً بسلاسل

أخرى على عمود معدن جهنمي. ولهذا المعدن اسمٌ توأمٌ، هو العَرْشُ والقَرْش.

— رُبَّما لهذا كان الشجر يسألني، حزيناً في الطريق إلى تنورين: إلى أين تمضي؟

وكلٌ يعرف: لا شيء، في الأخير، يستطيع أن يكسو لبنان غير النجوم ولا طاقة تقدر أن تُعْرِيه إلا الشمس.

— ٧ —

أخذت أعقد خيوط الحلم بأذرع التلال والأودية والذروات، وألقي على أكتافها مناديل الشهوة.

رأيت مع كل شجرة كرةٌ يدحرجها الهواء في مسافاتٍ تقول، تارةً، إنها الخيال، وتقول تارةً إنها الواقع.

وظهر لي أن للخبز هنا، ولكل ما تتذوقه، طعماً آخر، كأنه الألفُ مُفْتَتِحاً مُعْجَمَ الملذات. وتأكد لي أن للغة دماً آخر، وأن للكلمات أشكالاً تتمرأى فيها أمواج الصور،

صورٌ تحتضنك، تأخذك وتغلو بك حتّى أنك لتشعرُ بالخوف من الصعود معها على درجات المعنى.

— ٨ —

— السياسة؟

— تقصدين السياسة الراهنة؟

— بخيوط من الضوء والحرية والصداقة تصل تنورين بين قدمي وعتبة البيت الذي أنشأه وسيم حرب، وبين يدي ونوافذه. وأسألك، إذاً:

لماذا يبدو الزمن عندنا متخلفاً وأعمى في حضرة هذا البهاء الأرضي الفريد؟ زمنٌ قمصانه هشيمٌ، وخطواته هباء.

وسمعت من يجيبني هامساً: لن تكون نفسك إلا فيما تبتكر، أو تحاول أن تبتكر، لكل لحظة سماء.

— السياسة الراهنة؟



فجأةً، حول النَّار في حُضن البيت إلى جوار العريشة. نَزَلَ في ثيابي هواءٌ باردٌ تمرَّد على تراث الحرارة مع أعضائي، وأخذتُ أرتجف كأنني لهبٌ شمعةٍ واهنة.
غير أن كوكب الزَّهرة، سرعانَ ما فَتَحَ ذراعيه وغمرني بعباءته.
فجأةً، حول النار نفسها شَبَّت في جسدي أخصِنةُ الدَّفء، وأخذتُ تنطلق فيه، تأتي وتذهب، كأنه أفقٌ لأعناقها.

-٩-

- العزلة؟

- كلاً. تكفي هنا شجرةٌ واحدة أو زهرةٌ واحدة لكي تفتح أمامك نوافذ العالم.
بالعمل، طبعاً، لا بالأمل. الأملُ غالباً، كسلٌ آخر.
والعمل هو أن تخرق الظلام دون أن تُشوشَ الفضاء الذي يتحرك فيه الضوء.

-١٠-

استأنفتُ التَّلمُّذَ على شجرة التَّوت الشَّامي: كيف ألمس الأسودَ فينبجس منه الأحمر، وكيف أعلمُ حبري المزجَ بين الأسود والأخضر والأحمر في لمسةٍ واحدة.
كان الوقت يتلألأ في جسدي كمثُل نجمة تنزل على حَبَلٍ من الضوء موصولٍ بيديٍّ وخاصرتي. وأظنُّ، أن الجبل الذي أقابله قد اقتنع بأن له أصدقاءً كثيرين في العلو جديرين بثقته، ويقدر أن يطمئن إليهم وإن لم يعيشوا دائماً في جواره.
هكذا، قبل أن أعود إلى المدينة، هيأتُ بضع كلماتٍ لكي أطلقها في الهواء، في جُزء تنويرين وضعتُ في كل كلمةٍ سرّاً يتيح لها أن تتحول إلى طائرٍ أو إلى غيمةٍ أو إلى غصن.
وقلتُ: ستكون هذه تحيتي الدائمة إلى وسيم حرب.

-١١-

كان الليل يعلق في كاحلي هذا المكان أجراساً للحرية والحب

وشعرت كأنه يجمع ضوء هذا المكان وظله لكي يهديها إلى نجومه.

هكذا ترددت في الذهاب إلى النوم، وكذت أن أرفضه لولا أنه أجمل ثقب في عتمة المائدة: لا نرى الكون حقاً، بأنواره وظلماته، بدوائره ومثلثاته، إلا منه، ذلك أنه صنو للشعر، خصوصاً لنوافذه التي يفتحها في بيت اللانهاية.

اللانهاية؟ هنا تنام وتنهض معك في فراش واحد. تحيط بك الطبيعة - جبالاً وأودية وفضاءات، وتسربك بقفطانها المُرزكش، مجبولاً بغطر المجهول.

VI

بعليك، نبع العاصي

فيض الجسد

-١-

«هل الإيديولوجية جثة الحياة؟» «هل الكتابة جثة الفكر؟» تساءلت أمس، فيما كنت أرقص مع شبان وفتيات بينهن فتاة تغطي شعرها. لم يمنعها هذا الغطاء من أن تعطي لجسدها حقوقه في الحياة، والفرح، واللذة، فترقص معي ومع غيري، بحرية وغبطة. كان ذلك في مقهى على نبع العاصي، الطالع من أحشاء الأرض في رقص آخر لا تعرف اللغة كيف تقرر أبوابه. لا يعرف أحدنا الآخر. لم يتحدث أحدنا إلى الآخر. مع ذلك، رقصنا معاً. جمعت بيننا طاقة الحياة فينا، تفجرات الرغبة، «تقاليد» مما وراء «الأفكار» و«الإيديولوجيات»، و«الأحزاب» - تقاليد الفن، فن الحياة والإنسان والطبيعة، تقاليد الموسيقى والغناء والرقص، التقاليد الطالعة من أغوار الحياة، كمثل نبع العاصي الطالع من أعماق الأرض.

وطبيعي أن يتراجع آنذاك «الثقافي»، «المصنوع»، «المغلب»، وأن يتقدم «الحياتي»، «الطبيعي»، «العفوي»، أن تغيب «الإيديولوجيات»، وتحضر الأجساد ونبضاتها. أن تنحسر «الزواج» و«فيض الجسد».

بلى، نُحرر الحياة والعقل، بقدر ما نعطي للجسد حقوقه. ونحرر الكتابة بقدر ما نجعلها جزءاً من هذه الحقوق. ذلك أن هوان الجسد ليس إلا هواناً للحياة، وللإنسان، ولل فکر، وللغة جميعاً.

-٢-

في الطريق الى نبع العاصي، وهي طويلة، ثلاث ساعات من بيروت، مررنا - الأصدقاء وأنا - لرؤية بعليك، خصوصاً أن معظمنا لم يرها منذ فترة طويلة.

بعليك: قسمها «الحي» يزداد تخبّطاً، وقسمها «الميت» يزداد، على العكس، بهاءً وحياة - على رغم أن مساحاته تكاد أن تثنُّ تحت وطأة النفايات من كل نوع، بدءاً من قناني الماء الفارغة. أليست النظافة من الإيمان، يا سَكّان بعليك؟

أه، ما أبعد المسافة، مسافة الإبداع والجمال والحرية، بين بعليك السلف، وبعليك الخلف.

للمناسبة، لي رجاء خاصّ لسماحة السيد حسن نصرالله، هو أن يأمر بإزالة الشعار الذي «نُحت» على واجهة القلعة من داخل. فلا يجوز أن يُتخذ من المقاومة، من نبيلها وعطائها، من آلامها وتضحياتها، وسائل تهبط بها إلى مستويات تسيء إليها، وإلى رمزيّتها العالية. فهذا الشعار «نُحت»، باسم المقاومة. وهو «نُحت» يبدو كأنه قطعة بلاستيكية مُلصقة بشكل بشع على واجهة أثر يُعدّ بين الآثار الإبداعية الكبرى في التاريخ كله.

وهو شعار لا يفيد المقاومة في شيء، على صعيد الدلالة والمعنى، أو حتّى على صعيد الدعاوة والإعلان. إضافة الى أنه بائس ومُتهافت، على الصعيد الفني الجمالي، وخطأ على صعيد اللغة. فليس هناك أيّ مسوّغ أو أية ضرورة كتابية أو شعرية لكتابة الشعار بهذا الشكل: «مقاومة تحمي وطن»، وإنما يجب أن يكتب: «مقاومة تحمي وطناً».

المقاومة فنّ في إضاعة الحياة. وفي بناء التاريخ. ولذلك فإنّ الفنّ الذي يُعبّر عنها يجب أن يكون في مستواها، مستوى إضاعة

الحياة، وبناء التاريخ. فوضعها، فنياً، بشكلٍ قبيح، في ظلِّ أثرٍ عظيم، من طبيعةٍ أخرى، يجعل هذا الوضع «دخيلًا»، و«نابياً»، وفي غير «مكانه» و«مقامه»، ونوعاً من «الاعتداء» مما يشوّه فكرة المقاومة، وأبطالها، وتضحياتهم العالية، ومِمَّا يشوّه علاقتنا الإنسانية والفنية بالتاريخ، وبالأعمال الفنية التاريخية الكبرى، ومما يكشف أخيراً عن ضحالة رؤيتنا في هذا كله.

رجاء،

رجاء يا سيدي،

أن تأمر بإزالته.

-٣-

قالت لأصدقائها في طريقنا إلى نبع العاصي:
«ننتمي إلى مجتمع يقول لنا، كلُّ يوم، بطريقةٍ أو بأخرى، ليس للإنسان حقٌّ في السعادة، وليس له حقٌّ في الحرية، هكذا علينا أن نثبت كل يوم ما يناقض هذا القول، وما ينقضه».

-٤-

الطريق بين بعلبك ونبع العاصي «جرخ» مفتوح، ينزف «تقنية».
«الأجنبي» الذي نحارب حضوره، نظرياً، يملأ حياتنا، عملياً.
الاستقلال هو أن تستقلَّ كذلك اليد، لا «الفكرة» وحدها.

-٥-

قال:

«لا يتمثل القمعُ في قمع السلطة وحدها. يتمثل كذلك في قمع المجتمع نفسه الأفراد الذين يتكوّن منهم. وهو الذي يسوّغ القمع الأول، عدا أنّه الأشدَّ فتكاً بالإنسان وحقوقه».

-٦-

قالت:



«أختلف معكم. ربّما لكي يكون اختلافي عنكم وسيلة لحبٍ آخر لكم، ولاكتشافٍ آخر».

-٧-

في قلعة بعلبك، أحسستُ أنّ كلاً منا كان يخاطب أعمدتها:
«لي فيك ماضٍ، لا أجد فيه إلاّ المستقبل».

-٨-

كانّ لبعلبك أعضاء توشوشني هذه اللحظة:
«لو كنتُ أنجب أبناءً
لكنتُ أطلقتُ على أحدهم اسم الدهر».

-٩-

أطوفُ، بعلبك، في حضورك، لكي أتعلّم كيف أزداد قريباً إلى الغيب.

-١٠-

كلّما التقيتك، بعلبك، أشعر أنّنا نتحوّل، أنتِ وأنا، إلى طبيبين يسهران على راحة ذلك المريض الأبديّ: الزّمن.

-١١-

خلّسة،
أغريتُ الحبّ، في معبد باخوس، أن يسير أمامي لغرضٍ واحد: أن أراه، كما هو في ذاكرتي، طفلاً.

-١٢-

لماذا تحبّ أن تعاشر الموتَ في الجزء «الميت» من بعلبك، وتحبّ أن تهرب من الحياة في جزئها «الحيّ»؟

-١٣-

أحياناً، يدهشني جسد بعلبك،
غير أنه، دائماً، يضيئني.

-١٤-

اسمحي لي، بعلبك،
أن أنسبَ أخطاءك لي،
لكي أعرف كيف أنتسبُ إليك.

-١٥-

الشمس تستيقظ في وجه الفضاء،
الفضاء، والشمس يستيقظان في وجه بعلبك،
كأنها امرأة عاشقة.

-١٦-

من جديد، كرّرت بعلبك درسها عليّ:
«لا تعش إلا في أوج جسدك،
لكي تسقط من شاهق،
إذا سقطت».

-١٧-

قالت:
«الجسدُ معلّمُ الرّوح».

-١٨-

ليست بعلبك درجاً نصعدُ عليه،
بعلبك محيطٌ نتموج فيه.

-١٩-

بعلبك والعاصي:

فنّ الثقافة وفنّ الطبيعة،

إبداعان فريدان في العالم - ولا نرى فيهما إلى أبعد من
«السياحة» و«التجارة»:

كأنّ لغتنا «الثقافية» تكره الطبيعة،

وكان لغتنا «الطبيعية» تكره الثقافة.

-٢٠-

-لا أحبّ السّهر.

- أنا أحبّه. السّهر غطاءً آخر لسرير الحبّ.

(بيروت، ١١ آب ٢٠٠٥)

VII

أمكنة، أشياء، غوايات

-١-

وجهاً لوجه. في الجهة المقابلة من مائدة العشاء التي جمعتنا

في مطعم يطل على اليوسفور، (اسطنبول، ٢٠٠٤/١٠/٢٧).

وجهها تيه سماوي. لا أعرف أين أضع عيني - حول الشفتين

الضفتين اللتين يجري بينهما كوثر الأرض؟ حول اللازورد الذي

ينبثق من تحت أهدابها، ناسجاً فضاء آخر داخل الفضاء؟

حول الأنف الأقنى؟ الخدين؟ المنحنى الذي يجمع بين ذروة

الشفة السفلى ومنحدر الذقن؟

أنظر إليها خلصة.

لا تنظر إلا إلى نفسها.

هل نكرني وجهها بما لم يكتمل في؟ بما لا أزال أبحث عنه؟ ولماذا

لا أعرف أن أسمّي ذلك «الشيء» الذي يتلأأ فيه، ويشع منه؟ لأقلّ

إنه مادة شاهقة تولّد في جسدي كله ما يشبه انخفاضاً يتأرجح

بين الوجد والرغبة والدهشة.

مادة شاهقة؟

وأكاد أن أقول: الجمال، كما يتجلى في هذا الوجه، وكما يتجلى في الأشياء كلها، يحول الزمن كله إلى لحظة تتوقف فيها الحركة، وتتوقف الصيرورة.

وأكاد أن أقول إن في الجمال قوة تجعل من الصيرورة نفسها ماهية، ومن الغياب نفسه حضوراً.

والحب هو جسد هذا الحضور، ونشوته العليا.

—١—

اسطنبول - لا عمل لهذا العالم إلا الغياب.

ما تكون، إذًا، علاقة اللغة بهذا العالم؟

أليس ما نقوله في هذا العالم - الغياب، هو نفسه ما لا نقدر أن نقوله؟

لكن، أليست اللغة، إذًا، نوعاً من الوجود الهذيانى الذي يحتضن الإنسان والحياة والعالم، والذي لا حضور للإنسان إلا به وفيه؟

—٢—

أسافر كثيراً. ويتيح لي هذا السفر أن أرى أشياء كثيرة، وأمكنة كثيرة.

الأمكنة، كمثال الأشياء فضاء، مناخ، ضوء.

وعندما أغيب عنها، أنتبه إلى أنني لم أرَ منها إلا «معناها». تنطبع «روحها» في حواشي، وتفلت «أجسامها» عابرة في اتجاه الخفاء.

سابقاً، في السفر - في قطار أو طائرة، كنت أحب أن أجلس دائماً قرب النافذة وكنت ألقى صعوبة في أن أرفع عيني عما أشاهده عبرها - خصوصاً تشكيلات الغيوم، في الجو، وأجساد الشجر واقفة على الأرض.

اليوم، صرت على العكس، أحب الجلوس بعيداً من النافذة. أهى

بداية الهبوط إلى الداخل، إلى «القبر»، تبعاً للتقدم في السن، نحو الشيخوخة؟ كأنما «الظاهر» لا يعود مغرياً في هذه السن، وكأنما «الباطن» على العكس، يصبح في مختلف دلالاته، نقطة الغواية والجاذبية.

— ٣ —

في زيارتي الأخيرة للقرية التي ولدت فيها، رأيت أطفالاً كان الزمن يقف بين شفاههم كمثّل ثدي متجدد وجاف، ورأيت رجالاً ونساء، خُيل إليّ، فيما أتحدث معهم، أنهم يتهيأون لكي يشربوا دموعهم.

أيديهم الممدودة إلى السماء وشفاههم الطافحة بالصلاة، لم تستطع حتى الآن أن تقنع أي عناية بأن ترفرف عليهم. مع ذلك، يواصلون بعناد تحديقهم في اتجاه النجوم.

زمن — عكاز

يكاد الطحلب أن ينبت على أطرافه.

— ٤ —

الموسيقى، الضوء، وأنا

حلفاء للغيـم — هذه اللحظة.

— ٥ —

تستيقظ الحقيقة في الطبيعة، عاريةً،
في الكتاب، تلبس ثيابها غالباً.

— ٦ —

العبارة الجميلة

هي، في ذاتها، حقيقة جميلة.

-٧-

لا تتوقّف الطبيعة عن الكلام،
لكن، همساً.
عندما تنطق بصوتٍ عالٍ
تخرج من بين شفتيها كلمة واحدة:
الحرية

-٨-

لو أن الغاية حاكمة على الورقة،
أما كانت علقتني على خشبة؟

-٩-

كلا،
لن أكف عن ترصد الزمن،
لنحت أشلائه.

-١٠-

قبّلت الأرض البحر بين عينيه،
ففتح شفتيه إلى الأبد، -
قولني،

هل أنتِ الأرض أم البحر؟

-١١-

عندما كنت أنظر إليك، وأطيل النظر،
لم أكن أراك،
كنت أتمرأى فيك.

-١٢-

نيويورك ٨ أيار (مايو) ٢٠٠٤. خطواتي في مكان وأفكاري في مكان آخر. غصّة تمسك بأحشائي. أتنشّق هواءً ملتبساً، وصعباً على الرئة. وما أوهنَ هذا الوقت العربي.

-١٣-

زجاجٌ يبدو كأنه يأمرُ السماءَ لكي تتمرأى فيه. فولاذٌ وبلاستيك. ضجيجٌ ودخان. غبارٌ وأنقاض. صورٌ ولافتاتٌ تحوّل الإسمنتَ إلى غابةٍ من الملائكة. سندويشٌ كوني.

-١٤-

تايم سكوير - أهو المكانُ الملائمُ لكي أرسُم في ذهني خريطةً للأمكنة الأكثر اضطراباً في العالم؟ خِفيّة، تقدّرُ أن تضعَ اسمَ فلسطين بين هذه الأمكنة. ربما، خِفيّة كذلك، تنزلُ السماءَ في ثوبٍ رماديٍّ وتشدّ، صامِتةً، على يدك.

-١٥-

بخارُ ماءٍ إلهيّ،
يَغلي في قِدْرِ التاريخ، سابحاً بين الجدران العالية.

-١٦-

بياضُ
كمثل جبلٍ عالٍ يصعد عليه السوادُ مُقتدياً بسيزيف.

-١٧-

- كيف تستخدم وقتك؟

- آكل عندما أحسّ بالحاجة إلى النوم. أنام عندما أحسّ بالحاجة إلى القراءة.

- ١٨ -

ما هذه الآلة - الإله؟
أكلما ازدادت الأمكنة قداسةً ازدادت عُنفاءً؟

- ١٩ -

الهوية في نيويورك مسألة في المَعِدَة.

- ٢٠ -

وول ستريت -
حدث كوني،
يتدرب العالم في جوفه،
على التهام اللحم النيء.

- ٢١ -

يسيلُ التعب من عنق هذه الكنيسة،
كأنه يسيل من عنق التاريخ.
عقدُ ألفاظ يتدلى فوقها محفوفاً بالكواكب،
ألفاظ تبذرو كأنها أكثر قدماً من اللغة؛

- ٢٢ -

أوه! هل أصبحت الحياة نفسها
ملفاً رقمياً؟

- ٢٣ -

فضاء مفتوح كالجرح.
كيف أواجه الزمن في هذا الجرح إلا بالزمن



الذي يجلس الله على عرشه؟
ولن أقيس نفسي إلا باللانهاية.

- ٢٤ -

أحبّ الآن، في هذه اللحظة،
أن أسأل الكتب المقدسة:
في أي مُنخلٍ
نَخَلتِ كلمات الآلهة؟

- ٢٥ -

عنفٌ يكاد أن يكسر جذع اللغة،
وليس للوقتِ وقتٌ لكي يقتفي خطوات الموت.

- ٢٦ -

هل تريد أن تُصبح الحقيقة واقعا؟
إذا، ليس عليك إلا أن تفترضها.

- ٢٧ -

برودواي -
لم يعد للمخيلة ما تتكى عليه غير المعدة.

- ٢٨ -

في حضن امرأة يابانية
رجل مكسيكي.

- ٢٩ -

في داخل كل رغبة، جُثّة.

-٣٠-

ما هذا الزمن الذي لا يحضر إلا في شيءٍ غائب؟

-٣١-

نساءً كمثّل عرياتٍ تجرّها الفاكهة.

-٣٢-

الفكرة العظيمة كمثّل القصيدة العظيمة، «حربٌ»:

على عادات التفكير،

على عادات اللّغة،

على عادات الكتابة،

على عادات القراءة.

ألهذا يسمّيها بعضهم «جريمة»؟

-٣٣-

هل سأعرفُ كيف أقود حياتي؟

هل سأعرف كيف تقودني؟

ثمّة فُخٌ أينما اتّجهت، وكيفما توجّهت.

فُخٌ: ماءٌ ونازٌ في إنبيقٍ واحد.

-٣٤-

ساسة: حربٌ في غابات من الأشلاء والبعوض والذُّباب.

-٣٥-

مَنْ قال إن الموتى لا يتكلّمون؟

إنهم لا يتوقّفون عن الكلام، غير أنّهم يتكلّمون بأفواه الأحياء.

-٣٦-

تَمْضِي حَيَاتِكَ فِي حَفْرِ طَرِيقٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسِيرَ عَلَيْهِ نَحْوَ مَا
تَشَاءُ. فَجَاءَ، تَكْتَشِفُ أَنَّ الطَّرِيقَ انْتَهَى، وَأَنَّ خَطَوَاتِكَ لَا تَزَالُ فِي
بَدَايَاتِهَا.

-٣٧-

الصَّرَاغُ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْجَسَدِ، تَرَاجِيدِيَا.
وَالصَّرَاغُ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، مَلْهَاءَ.

-٣٨-

لَا يَعْرِفُ الْمُحَافِظُونَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَحَافِظُوا إِلَّا عَلَى
الْأَشْلَاءِ.
لَا يَعْرِفُ أَعْدَاؤُهُمْ أَنْ يَحَافِظُوا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ، إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

-٣٩-

لَمْ تَعُدِ الْكِتَابَةُ الْعَرَبِيَّةُ، الْيَوْمَ سَفَرًا بَيْنَ الْهَاقِيَةِ وَالذَّرْوَةِ. لَكِنْ،
لِمَاذَا تُصْبِحُ تَسْكَعًا بَيْنَ الشَّارِعِ وَالْمَطْبِخِ وَمَا بَيْنَهُمَا؟

-٤٠-

أَسْوَةٌ بِفَنِّ الْبُوبِ، رَسْمًا وَمُوسِيقَى، رَقْصًا وَغَنَاءً، أَمِيلُ إِلَى الظَّنِّ
أَنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ الَّذِي يَكْتُبُ، الْيَوْمَ، سَيُؤَزَّخُ لَهُ بِوصْفِهِ شَعْرَ الْبُوبِ
الْعَرَبِيِّ.

-٤١-

مَأْخُودٌ بِتَعَلُّمِ اللُّغَاتِ الَّتِي تَخَافُ الْأَلْسِنَةُ أَنْ تَتَهَجَّأَهَا.

-٤٢-

لِلشَّعْرِ، هُوَ أَيْضًا، مَرَاكِزُ اعْتِقَالِهِ وَنَفْيِهِ. أَلْهَذَا نَجْدُ مَاءٍ لِلزَّمَنِ الْعَرَبِيِّ
يُرْفَضُ الشَّعْرُ أَنْ يَسْبَحَ فِيهِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ حَوْضَ الْأَبَدِيَّةِ؟

-٤٣-

خيرٌ لثقافةٍ مليئةٍ بجراح الموت البطيء أن نُعَجِّلَ في الإجهاز عليها.

-٤٤-

سُوسٌ يتجشَّس تحت بَشْرَةِ الوقت.

-٤٥-

هل علينا، إذاً، أن تبدأً فنتعلَّم الماء، ونخلِّق ما يُصالحُ بين فيزياء الإسمنت، وكيمياء النجوم؟

-٤٦-

الدَّخانُ يُشعلُ قناديل المعنى.

-٤٧-

مَنْ يقولُ الشَّمْس والقمر أخوان،
وما ينبغي أن يوحد بينهما،
هو نفسه الذي يفرقهما؟

-٤٨-

لا شيء في الطبيعة غير الشيء،
لا شيء في ما وراءها، إلا الأشياء.
اللاشيء، ذروةٌ وهاويةٌ في آنٍ:
هل أستطيع، إذاً، أن أهرَّ بجذع اللاشيء،
لكي تساقط عليَّ ثمارُ الغيب؟

-٤٩-

تقول إنك تغسل وجه الليل بيد الفجر؟
قل لي: ما نوع الماء الذي تغسلُ به؟



- ٥٠ -

لا يُحِبُّ نرسيْس أن يُقيْم إلا في المرآة:
لا يُحِبُّ أن يكون له مكانٌ غير اللأمكان.

- ٥١ -

الحجرُ الذي رميته في النبع لم يسقط فيه، بل سقط بين أهدابك:
تَحسَّن عينيْكَ.

- ٥٢ -

اليقينُ ساذجٌ حتَّى أنه لا يعرف نفسه إلا بوصفه نقيضاً للشك.
وهو عاجزٌ أن يكون في مستوى الحياة:
طفلاً أو شيخاً، بدايةً أو نهاية.

- ٥٣ -

ما أعجبك، أيها الحب:
كيف تكون فراشةً في الكلام.
وناراً في الممارسة؟
ألنْ تُعلِّمني كيف أقرأ اسمي في اللائحة؟
التي يكتبها الدخانُ على جدار الهواء؟

- ٥٤ -

الضبابُ الهاربُ أبداً هو الأَخ البِكْرُ للمائدة المقيمة أبداً.

- ٥٥ -

بلى، يقدر الماءُ أن يكونَ حارساً على كلِّ شيءٍ، إلا على الرَّمْل.

- ٥٦ -

لم يعد الثَّمَرُ في حاجةٍ إلى الفصول:
الاحتمالُ طَفرةٌ في شريان كلِّ شيء.

-٥٧-

حَبْلُ نَجْمَةٍ يَقْفِزُ عَلَيْهِ الْمَشْرَدُونَ وَالتَّائِهُونَ.

-٥٨-

حَاكِيَةُ الْعُنَاصِرِ وَفَشَلْتُ، إِلَّا فِي مُحَاكَاةِ النَّارِ.

-٥٩-

الرِّمُّ عَاصِفَةٌ، لَكِنْ يُمْكِنُ التَّغْلِبُ عَلَيْهَا بِمَا هُوَ أَوْعَفُ مِنْهَا؛
الْفَنُّ.

-٦٠-

وَقْتُ -

يَقْدُوزُ فِي فُقَاعَاتِ مَاءٍ مُوَحِلٍ.

-٦١-

بَنَيْتُ هَيْكَلًا لِعَيْنِي،
لَكِي تُصَلِّيَ فِيهِ خَطَوَاتِي.

-٦٢-

هَنَا، فِي غُرْفَتِي، عَلَى شُرْفَةٍ سَمِيَّتْهَا الْوَحْدَةُ،
تَجْلِسُ وَرْدَةٌ حَوْلَ كُرْسِيِّ فَارِغٍ.
لَكِنْ، مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهَا
بِلِسَانِ الْوَرْدَةِ؟

-٦٣-

فِي الْخَزَانَةِ، قَرَبَ السَّرِيرِ، غِبَارٌ عَتِيقٌ جَدِيدٌ،
لِلْغِبَارِ شَكْلُ الدُّمِيَّةِ،
لِلدُّمِيَّةِ شَكْلُ طِفْلَةٍ لَا تَتَوَقَّفُ عَنِ الرِّقْصِ.
لَا تَزَالُ يَدَاهَا بَيْنَ الدَّفَاقِ،
لَا تَزَالُ خَطَوَاتُهَا تَتَوَهَّجُ بَيْنَ الْجَدْرَانِ.



—٦٤—

بيت - كمن يحاول أن يُحوّل البحرَ
إلى رسائل،
وأُسْرَةٍ، وقُمصان.

—٦٥—

بيت - غرّف كمثّل حقائبَ على الرّصيف،
لا هي دروبٌ،
لا هي سفَرٌ،
لا هي أحلامٌ:
حقائبٌ - أثقالٌ ومرارات.

—٦٦—

بيني وبين وجهي مرآةٌ تفصلني عني،
بين أَسْمائي وأفعالي سِماواتٌ تيبس،
وأَرْضٌ تَتَشَقَّقُ ظمأً.
الحروفُ غاباتٌ من الكلمات،
الكلمات غاباتٌ من الظنّ،
والكتابة سَفَرٌ في المتاهات.
أين الأفقُ الذي تتنوّر به أحشائي؟

—٦٧—

هل تُريد أن تكونَ سماءَ ثانية؟
إذا، اعشق الأرض.

—٦٨—

الحياةُ التي أعيشها، لا أعرفها.
هل يمكن أن نعرف ما نعيشه؟
هل يمكن أن نعيش ما نعرفه؟

المعرفة نهارٌ وليلٌ في آن،
وأن نعيش ليلٌ لا غير.

-٦٩-

رغبتني أن أغيرَ الضَّفَافَ.
لا أن أكونَ جسراً.

-٧٠-

تتعدّر رؤية الوجه بشكلٍ كاملٍ ونهائي،
وهذا سرُّه، وأجملُ ما فيه.
الوجه آخرُ السَّرابِ وأوّلُ الماء.

-٧١-

اختبرَ تلكَ النّافذةَ في هذه القصيدة:
إن كانت مُضيئةً
فسوف تفتح لك نوافذَ عديدةٍ أخرى.

-٧٢-

كأنما ينبغي عليّ أن أصعدَ الدرجة الأخيرة من سلّم الضَّوء،
لكي أقدر أن أقرأ ظليّ.

-٧٣-

لا أحبّ قلبي إلا مَرسوماً بشفتيّ،
لا أحبّ عقلي إلا محضوناً بين يديّ.

-٧٤-

اللحظة الأولى للدّخول في سر الكتابة هي لحظة الارتطام بين
كلمتين تتألفان من حروفٍ واحدة:
الشَّرع والشعر.

-٧٥-

تاريخ -

أَيَّامٌ لَا تَرَى إِلَّا نَفْسَهَا،

لَا تَكْتُبُ إِلَّا نَفْسَهَا،

لَا تَقْرَأُ إِلَّا نَفْسَهَا:

إِنَّهُ الْعَبَثُ يَجْرُ أَدْيَالُ اللَّغَةِ.

-٧٦-

تاريخ - تَزْمِيْمُ هَيَاكِلَ وَعِبَادَات.

-٧٧-

هُوَ ذَا أَلْمَحِ الْقَمَرَ يَجْلِسُ وَرَاءَ مَكْتَبِهِ. يَنْهَضُ، يَأْخُذُ لَائِحَةً بِأَسْمَاءِ
النُّجُومِ وَيَقْدِمُهَا إِلَى اللَّيْلِ.

-٧٨-

كَلَّمَا تَفَوَّهَتْ بِاسْمِ نَبِيِّ، أَرْتَكِبُ أخطاءَ كَثِيرَةً فِي حَقِّ حَنْجَرَتِي.

-٧٩-

لِكُلِّ قَصِيدَةٍ عَظِيمَةٍ شَفَتَانِ تَنْتَقِدَانِهَا: شَفَتَانِ لَا تَرْتَوِيَانِ.

-٨٠-

النُّورُ، فِي سَطْوَعِهِ الْكَامِلِ، يَتَحَوَّلُ إِلَى حِجَابٍ. غَيْرَ أَنَّهُ الْحِجَابُ
الْوَحِيدُ الْكَاشِفُ.

-٨١-

تَسْلُخُ - لَا تَتَسَلَّخُ إِلَّا بِالنُّورِ.

-٨٢-

افْتَحْ أَحْشَاءَ قَصِيدَةٍ،

وَاقْرَأْ فِيهَا مَصِيرَ الْعَالَمِ.

VIII

رَبِّمَا

-١-

رَبِّمَا يَعْرِفُ كُلُّ مَنْ أَوْ مَعْظَمُنَا لِحَظَاتٍ لَا يَقْدِرُ فِيهَا أَنْ يَكْتُبَ أَوْ أَنْ يَقْرَأَ أَوْ أَنْ يَقَوْمَ بِأَيِّ عَمَلٍ «مُثْمِرٍ».

شَخْصِيًّا، أَوَاجِهْ كَثِيرًا مِثْلَ هَذِهِ اللَّحَظَاتِ. وَهِيَ تَجِيءُ مَسْحُونَةً بِالضُّجُرِ حِينًا، وَحِينًا بِالْأَسْئَلَةِ الَّتِي لَا أَجْدُ أَيَّ جَوَابٍ لَهَا مِنْهَا. وَهِيَ، إِذَا، لِحَظَاتٌ ثَقِيلَةٌ بَطِيئَةٌ كَأَنَّهَا سَيَّرَتْ فِي الرَّمْلِ.

-٢-

لَا أَعْرِفُ كَيْفَ يَخْطُرُ لِي فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّحَظَاتِ أَنْ أَخْذَ بِيَدِي شَيْئًا إلهو به، أَيِّ شَيْءٍ: وَرَقَةً، مِقْصًا، قَلَمًا. وَفِيمَا إلهو، أَفَاجَأُ بِأَنْتَنِي أَنْجَزَ عَمَلًا: أَنْتَجَ لِقَاءَ مَنْ نَوْعٍ آخَرَ، بَيْنَ إلهو الْيَدِ وَضِيَاعِ الرَّأْسِ. وَأَقُولُ: «أَنْتَجَ»، لِأَنَّ هَذَا اللَّقَاءَ يَحْزِرُ الرَّأْسَ مِنْ ضِيَاعِهِ، وَيُعْطِي لِهَذَا الضِّيَاعِ وَظِيفَةً تَتَأَخَى مَعَ تِلْكَ الَّتِي يُنْتَجِهَا إلهو الْيَدِ. وَفِي مِثْلِ هَذَا اللَّقَاءِ تَنْفَتِّحُ، غَالِبًا، أَبْوَابُ الْمَحَالِ أَمَامَ كَلِمَاتِكَ، فَيَتَأَخَّجُ لَهَا أَنْ تَقُولَ، مِثْلًا: فِي الْعِنَاقِ بَيْنَ ضِيَاعِ الرَّأْسِ وَلَهْوِ الْيَدِ يَبْدُو أَنَّ لِلْقَمَرِ عُنْقًا مَقْطُوعًا هُوَ الضُّوءُ.

-٣-

مَرَّةً، مَجْرُوفًا بِهَذِهِ اللَّحَظَاتِ، تَنَاوَلْتُ عُلبَةً كَبِيرَةً تَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةِ فُنْدُقِيَّةٍ. شَكْلُهَا مُسْتَطِيلٌ، وَفِي اسْتِطَالَتِهَا بَعْضُ الْأَنَاقَةِ، تَخْطِيطًا وَتَلْوِينًا. بَدَأَ الرَّأْسُ يَشْطُحُ، وَأَخَذَتِ الْيَدُ تَلْعَبُ (هَلِ اللَّعْبُ شَطْحٌ فِي جِسْمِ الشَّيْءِ؟).

مِنْ جِهَةِ الرَّأْسِ، خُيِّلَ إِلَيَّ أَوَّلًا أَنَّ عُلبَةَ الْكَبْرِيتِ سَرِيرٌ. ثَمَّ، فَجَاءَ، خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهَا قَبْرِ مَلِيٍّ بِأَشْخَاصٍ يَغْتَمِرُونَ عِمَائِمَ فَوْسُفُورِيَّةٍ.

وَرَبِّمَا يَجُوزُ فِي الْوَعْيِ أَنْ نَصِفَهَا بِأَنَّهَا صُنْدُوقٌ. وَفِي هَذَا مَا يَوْقُظُ لَأَوْغِينَا فَيَذْكُرُنَا بِذَلِكَ الشَّاعِرِ الْعَاشِقِ وَضَّاحِ الْيَمَنِ الَّذِي خَبَّأَتْهُ «أَمِيرَتُهُ» الْعَاشِقَةُ فِي صُنْدُوقِ غُرْفَتِهَا، خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ



«أميرها» العاشق. لكن هذا كان ذكياً وبارع الحيلة، كما تقول الحكاية؛ اكتشف المخبأ وقتل الشاعر.

—٤—

من جهة اليد، يمكن اللعب نفسه أن يتحوّل إلى مخيلة - سؤال: كيف ينام عشرون شخصاً بعمائم فوسفورية، كمثّل أعواد الثقاب، في سرير واحد؟ أو كيف يُدفن هؤلاء في حفرة واحدة لا تتسع إلا لشخص أو اثنين في أوسع احتمال؟

غير أنّ شطّح الرأس يُفْلِت، غالباً، من سيطرة اليد، ويتخطاها إلى ما يفلت من كلّ سيطرة. هكذا يحلو للشطّح أن يوغل بعيداً. والغريب آنذاك أنّ الرأس ينشّق على نفسه، ويتمردّ بعضه على بعض. يُوسّوس جانب منه: امض في شطّحك. جانب منه يكبحك: لا تشطّح - فأقلّ ما سيقوله الناس عنك إنك عابث أو مجنون.

الأغرب أن يَنْتَصِرَ لَهُوَ اليد لِشَطّحِ الرأس، وأن يُتَابِعَ في مزيد من الوسوسة: البلاد كلّها علبة كبريت. خَشَبُها ونارُها كتلة واحدة. بشرارة صغيرة منها، تستطيع أن تُولّد حريقاً كبيراً.

عود ثقاب - مقاتلٌ مُدَجَّجٌ بالنار، يتّحد بسيارة، أو يتزوّج دراجة، أو ينفجر متوسداً غفلة الوقت.

—٥—

في الغيم الممزوج بأهات البشر وتباريحهم، الغيم الذي يتكوّن في السّاحات العامّة، في الأزقة والشوارع، في المدارس والجامعات والبيوت، تسبح أنواع أخرى كثيرة من أعواد الثقاب، نافرة من علّبتها التي تنسجّن فيها. وزيّما قيل إنّها في ذلك تبحث عن أصولها المتجمّدة في جبال التاريخ، وإنّها تختار أكثر الوسائل فعالية في إذابة الجليد، بأنواعه المختلفة، الظاهرة والباطنة.

—٦—

الليل الذي يُحيط بأعواد الثقاب مُدَوّر. وهو باقٍ ما دام صانعوها يؤكّدون: سنعلن على النجوم حرب الشموع.

-٧-

في الخلية الموسيقية النافرة من جسد الوقت، يجلس شطح الرأس
ولعب اليد: يُصغيان ويتحاوران.

وتكون المصادفة قد دَوَّزَنْتْ أوتارها لجوقة خفية
تسال: متى يُثَقَّبُ ذلك الحجر الذي يتمدد على سريرهِ صَمْتُ
الطبيعة؟

لكن،

قولي، أيتها الخلية،

من أين، وفي أي ثوبٍ سيجيءُ العملُ الذي يبتكرُ مفاتيحَ
المعنى؟

كتاب «دبي الثقافية» سلسلة دورية تصدر عن مجلة دبي الثقافية

- ١- «نجيب محفوظ.. قيصر الرواية العربية» - ١٩٩٩.
- ٢- «سلطان العويس.. شمس الثقافة التي لا تغيب» - ٢٠٠٠.
- ٣- «المبدعون» - النصوص الفائزة في مسابقة «المبدعون» -
الدورة الأولى - ٢٠٠١.
- ٤- «نازك الملائكة.. أميرة الشعر الحديث» - ٢٠٠١.
- ٥- «الرنين» - المجموعة الشعرية الفائزة بالجائزة الأولى في
مسابقة «المبدعون» - الدورة الثانية - للشاعر السوري أيمن
إبراهيم معروف - ٢٠٠٢.
- ٦- «مدارج الرحيل» - الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة
«المبدعون» - الدورة الثانية - للروائي المصري خالد أحمد
السيد - ٢٠٠٢.
- ٧- «غشاوة» - المجموعة القصصية الفائزة بالجائزة الأولى في
مسابقة «المبدعون» - الدورة الثانية - للقاصة الإماراتية عائشة
الزعابي - ٢٠٠٢.
- ٨- «حمد أبو شهاب في ذاكرة الإمارات» - ٢٠٠٢.
- ٩- «ليالي الحصار.. أحزان عراقية» - شعر - نصوص لشعراء العراق
- فبراير ٢٠٠٣.
- ١٠- «السماء تحبّ أجراسها» - المجموعة الشعرية الفائزة بالمركز
الأول في جائزة «الصدى» للمبدعين - الدورة الثالثة - للشاعر
المصري بشير رفعت - ٢٠٠٤.
- ١١- «تيار هواء» - المجموعة القصصية الفائزة بالمركز الأول في
جائزة «الصدى» للمبدعين - الدورة الثالثة - للكاتبة المغربية
حنان درقاوي - ٢٠٠٤.
- ١٢- «الانكسار» - الرواية الفائزة بالمركز الأول في جائزة «الصدى»
للمبدعين - الدورة الثالثة - للكاتب السوري عامر الديك -
٢٠٠٤.

- ١٣- «البار الأمريكي» - المجموعة القصصية الفائزة بالمركز الأول في جائزة «دبي الثقافية» للإبداع - الدورة الخامسة ٢٠٠٦/٢٠٠٧ للكاتب العراقي وارد بدر السالم.
- ١٤- «إلى الأبد... و... يوم» - الرواية الفائزة بالمركز الأول في جائزة «دبي الثقافية» للإبداع - الدورة الخامسة ٢٠٠٦/٢٠٠٧ للكاتب السوري عادل محمود.
- ١٥- «قمر أوس» - المجموعة الشعرية الفائزة بالمركز الأول في جائزة «دبي الثقافية» للإبداع - الدورة الخامسة ٢٠٠٦/٢٠٠٧ للشاعر العراقي عامر عاصي جبار..
- ١٦- «مقالات رجاء النقاش» في «دبي الثقافية» - ٢٠٠٨.
- ١٧- «ليس الماء وحده جواباً عن العطش» - أدونيس - أكتوبر ٢٠٠٨
- ١٨- «قصيدة النثر أو القصيدة الخرساء» - أحمد عبدالمعطي حجازي - نوفمبر ٢٠٠٨
- ١٩- «مدارات في الثقافة والأدب» - عبد العزيز المقالح - ديسمبر ٢٠٠٨ -
- ٢٠- «من أنت أيها الملاك» - إبراهيم الكوني - يناير ٢٠٠٩
- ٢١- «النقد الأدبي والهوية الثقافية» جابر عصفور - فبراير ٢٠٠٩
- ٢٢- «قصائد من شعراء جائزة نوبل» اختارها وترجمها د.شهاب غانم - مارس ٢٠٠٩
- ٢٣- «الأغريد والعناقيد» - سيف محمد المري - أبريل ٢٠٠٩
- ٢٤- «رواية الحرب اللبنانية.. مدخل ونماذج» - عبده وازن - مايو ٢٠٠٩
- ٢٥- «هنا بغداد» - كريم العراقي - يونيو ٢٠٠٩
- ٢٦- «أراجيح تغني للأطفال» - سليمان العيسى - يوليو ٢٠٠٩
- ٢٧- «الحضارات الأولى - الأصول.. والأساطير» - تأليف/ غلين دانيال، ترجمة/ سعيد الغانمي - أغسطس ٢٠٠٩



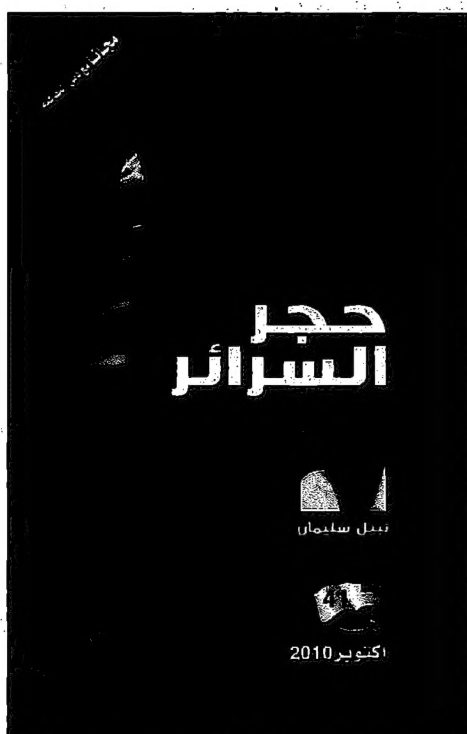
- ٢٨- «محمود درويش حالة شعرية» - صلاح فضل - سبتمبر - ٢٠٠٩
- ٢٩- «أنثى السراب (شكربتوزيوم)» - واسيني الاعرج - أكتوبر - ٢٠٠٩
- ٣٠- «حيث السحرة ينادون بعضهم بأسماء مُستعارة» - سيف الربحي - نوفمبر - ٢٠٠٩
- ٣١- «في غيبوبة الذكرى» (دراسات في قصيدة الحداثة) - د. حاتم الصكر - ديسمبر - ٢٠٠٩
- ٣٢- «وليم شكسبير (سونيتات)» - د. كمال أبو ديب - يناير - ٢٠١٠
- ٣٣- «العمارة الإسلامية (من الصين إلى الأندلس)» - د. خالد عزب - فبراير - ٢٠١٠
- ٣٤- «نحو وعي ثقافي جديد» - د. عبد السلام المسدي - مارس - ٢٠١٠
- ٣٥- «لكي ترسم صورة طائر وقصائد أخرى من الشرق والغرب» - اختارها وترجمها د. شهاب غانم - أبريل - ٢٠١٠
- ٣٦- «الشرد والكتاب» - محمد خضير - مايو - ٢٠١٠
- ٣٧- «طائر الشعر» - سالم الزمر - يونيو - ٢٠١٠
- ٣٨- «أنا والسوريالية» - ترجمة: أشرف أبو اليزيد - يوليو - ٢٠١٠
- ٣٩- «الحراك الاجتماعي الكويتي في القصة القصيرة» - د. فاطمة يوسف العلي - أغسطس - ٢٠١٠
- ٤٠- «فضاء لغبار الطلع» - أدونيس - سبتمبر - ٢٠١٠

ملاحظة:

وتتضمن هذه الملاحظة، كتاب «الفتنة» من تأليف محمد خضير، الذي نُشر في شهر أغسطس من عام ٢٠١٠م، في دار النشر «الكتاب» في الكويت. كما تتضمن أيضاً كتاب «الفتنة» من تأليف محمد خضير، الذي نُشر في شهر أغسطس من عام ٢٠١٠م، في دار النشر «الكتاب» في الكويت. كما تتضمن أيضاً كتاب «الفتنة» من تأليف محمد خضير، الذي نُشر في شهر أغسطس من عام ٢٠١٠م، في دار النشر «الكتاب» في الكويت.

الكتاب المقبل

أكتوبر 2010



حجر السرائر

نبيل سليمان



الرقم الدولي

ISBN978-9948-15-828-8

دُجى الثقافية

لا شك أن أدونيس كان
يستشعر غربة امرئ القيس
وهو يعيش بين غربتين:
أدناهما المكان وأصعبهما
الزمان، وتبلغ الغربة أقصاها
حين يخاطبنا وهو في أقصى
الأرض بقصيدة «شانغهاي»
في حفل يبدأ ولا ينتهي،
ويسهر هو على قبر المعنى،
فهل تراه وجد أن الكلمات لم
تعد أجساداً قادرة على احتمال
روح الشعر وتكرر الأبجدية؟

سيف المري



يصدر أول كل شهر ويوزع
مجاناً مع مجلة دبي الثقافية

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار

الصدى

للصحافة والنشر والتوزيع